كتاب

عبقرية الجعافرة

فيما ينجي من العقائد في الآخرة

تأليف

صاحب الفضيلة السيد احمد محمد احمد داود

الجعفرى النقشبندى

من علماء الأزهر الشريف

الموظف بالادارة المالية والمستخدمين بمصلحة الصحة العمومية

اذا ما رمت تصفية القلوب * وفوزاً في الديار الأخروية

فلازم علم توحيد الجليل * يقرّبه (كتاب العبقريّة)

الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م بالقاهرة

ثمن النسخة الواحدة ٥ خمسة قروش صاغاً

المطبعة السلفية - ومكتبتها

اهداء الكتاب

مما جرت به عادة الكتاب وحملة الأقلام اذا ما اعتزموا على اخراج مؤلفاتهم أن يقدموا كتبهم الى أرباب الحيثيات البارزة اعترافا بفضلهم وتخليداً لذكراهم ولذا قيل :

من أرخ مسلماً فقد أحياه

وانني جرياً على سنتهم أتقدم بكتابي هذا الى حضرات الأماجد أصحاب الشرف والكرم سلالة البيت النبوى والعامود الهاشمي وبضعة الرسول العربى صلى الله عليه وسلم

السادة الجعافرة

ثم أتقدم باهدائه الى حضرات الأفاضل الكرام سلالة السيد الزبير بن العوام

السادة العبابدة

ثم أتقدم باهدائه الى نسل من رفعوا لواء الاسلام ونصروا حضرة النبي عليه الصلاة والسلام

السادة الانصار

ثم أتقدم باهدائه الى مصابيح الظلام أهل العلم الاعلام والى جميع محبى الخير من المسلمين الكرام وأملى عظيم في نشره بينهم وانهم سيجدون فيه بغيتهم التى يطلبونها وضالتهم التى ينشدونها من علم التوحيد الجليل فيصححون ايمانهم ويطهرون عقائدهم ليفوزوا بالسعادة الأبدية في الدار الدنيا والدار الاخروية والله المسئول أن يحقق الآمال ويعطى كلا مايريده من البلوغ الى ذروة المجد والكمال

المؤلف

رسم المؤلف



لما رأيت أحبتي مشوقين لرؤيتي
أهديت رسمي قائلا تنوب عني صورتي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي توحد بالجلال وتفرّد بالعظمة والجمال فهو الواحد الأحد الفرد الصّمد الذي لا صاحبة له ولا ولد ولم يكن له كفؤا أحد . والصلاة والسلام على امام الانبياء وتاج جميع الاصفياء سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله انسان عين الوجود والسّبب في كل موجود ﷺ وعلى آله وأصحابه قادة الناس الى الخيرات والمصابيح في دياجير الظّلمات « أما بعد » فيقول أسير الشهوات كثير الخطايا والهفوات المرتجي العفو من صاحب الكرم والجود الفقير اليه تعالى (احمد بن محمد بن احمد بن آل داود) المنسوب الى القبيلة الجعفرية المنتمية الى أبي عبد الله الامام السيد الحسين بن علي من السيدة فاطمة الزهراء بضعة سيدنا محمد ﷺ والمحسوب على الحضرة النقشبندية أدام الله دولتها العلية

لما كان علم التوحيد أصلا الى كلّ علم وشرفه على سائر العلوم كشرف الرأس على بقية الجسد قد شرعت في ترتيب مؤلف لاسباب تذكر فيما بعد والله اسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم نافعاً به النفع العميم وسميته : عبقرية الجعافرة فيما يُنجي من العقائد في الآخرة

أسباب التأليف

انه لما كانت معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فريضة على كل مكلف وكنت ممن تشرف بالارشاد في الطريقة النقشبندية منذ عدة من السنين إبّان كنت اتلقى العلوم بالجامع الأزهر الشريف وكنت مع

قيامي بواجب الدروس اليومية الازهرية النظامية قائماً بالتدريس لمن ينتمي لهذه الطريقة لما يجب عليهم معرفته من أصول الدين وفروعه لعلمي أن الطريق القويم لا يستقيم على الاوراد والاذكار كما يعتقد ذلك بعض المنسوبين الى طريق الاخيار بل لا بد لمريد الطَّريق السَّويّ من معرفة ما يجب لله تعالى ولرسله من الصفات وما يستحيل وما يجوز ولابدَّ من معرفة ما يصحح به عبادته فبذلك يسهل عليه الوصول الى اقتطاف ثمار الشريعة المطهَّرة واما اذا أكثر من الاوراد والاذكار من غير أن يعرف ما يُقوِّم به عبادته ويصحح به عقيدته فانه لا يزداد من الله الا بعداً لانه انقاد لهواه وقد قال الامام ابن عطاء الله « من علامات اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات » وقد قيل « من كانت الفضائل أهمَّ اليه من أداء الفرائض فهو مخدوع » وقال محمد بن أبي الورد « هلاك الناس في حرفتين اشتغال بنافلة وتضييع لفريضة وعمل بالجوارح بلا مواطأة القلب عليه وانما حرموا الوصول بتضييعهم الاصول » فهاهم غالب مشائخ الطرق جهال أضلوا أنفسهم لعدم اشتغالهم بتعاليم أمور دينهم وما وجب عليهم فانهم لما شاهدوا انقياد الخلق لهم كبُر عليهم أن يجعلوا أنفسهم في كِفَّة المتعلمين وأضلوا غيرهم فشغلوهم بكثرة الاوراد والاذكار فلاهم يعلمونهم أمور دينهم لانهم أجهل منهم ولاهم يدعونهم يسيرون لغيرهم فيفتضح عندهم أمرهم فلذا يصدق عليهم أنهم قطَّاع طريق بل ربما كان اثمهم أشد لان قاطع الطريق يستلب الاموال وهؤلاء يستلبون النفوس والقلوب تخوفاً من ان اكون مثلهم اتَّبعت السلف الصالح في طريقهم فاشتغلت من يوم أن تصديت للارشاد بتعليمهم ما يحتاجونه من عقائد وفقه بقدر ما تسمح به ظروف الطلاب المنسوبين الى دروس الازهر النظامية وقد تفضل علينا المولى في هذا العام (١٣٤٧ هـ ١٩٢٩ م

دراسية) بالنجاح في شهادة العالمية النظامية فوجدت نفسي في فراغ سيما وان المريدين قد تربَّت ملكاتهم وقويت مداركهم فاحتاجوا الى كتاب وسط في هذا الفنّ ووجدت الكتب المطوَّلة لا تنفعهم لانها مرتفعة في المعاني والالفاظ عن مداركهم ووجدت المختصرات منها لا تفيدهم والوسط منها ألف لزمان غير زمانهم ولاشخاص سواهم فانتقيت هذا السفر الجميل من كتب عديدة في هذا العلم الجليل وسلكت فيه بعون الله تعالى سلوكا حسناً ونهجاً قويماً بعبارات سهلة والفاظ عذبة تفهمها الطبقة الدُّنيا والوسطى من الناس ولا تستغنى عنها الطبقة العليا منهم ، وسلكت فيه طريق السَّلف ولم أعبء فيه آراء الخلف وتجنبت الخلاف بين المذاهب وقد أوجزت فيه في بعض المواضع وأطنبت في البعض الآخر لعلمي ان الاول يفيد فيه الايجاز والآخر لاينفع معه الا الاطناب والا عدَّ من الالغاز وانه وان جاء في التعبير على غير متعارف التأليف فانما أقصد بذلك الافادة على وجه شريف وانني أقدمه بين يدى النَّاقدين وألتمس منهم الاعانة فما من أحد باصغر من ان يعين ولا با كبر من أن يُعان

وان تجد عيباً فسدَّ الخللا جل من لا عيب فيه وعلا

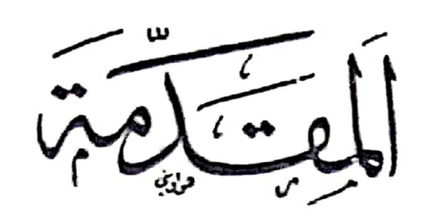
وغاية ما تصبو اليه نفسي هو قيامي بواجبى نحو هذه الطريقة من خدمة اهلها خاصة والمسلمين عامة فَلَعَلَّهُ يكون مفيداً لمن يلتمس الافادة وبذلك نكون مرضين لِربنا مؤدّين بعض ما يجب علينا من نشر العلم وافادته لمن هو اليه محتاج

والتمس ممن دقَّت عليه مسألة أن يعذرنى ولا يبادر بلومي والا توجهت اليه قائلا

لو كنتَ تعلم ماأقول عذرتني أو كنتُ أجهل ماتقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

والله المسئول أن يتولانا بعنايته وأن يطهر قلوبنا من الغل والحسد والحقد والكبر فانه ماضرنا الا تكبر بعضنا على بعض وحسد أحدنا الآخر وعدم الاعتراف بالجميل وهانحن كل منا يريد أن يكون هو المقدم على غيره ويجتهد في اظهار منقصة سواه وهذه نخوة جاهلية نسأل الله أن يطهرنا منها وأن يصفي قلوبنا من أدرانها وأننا ماقمنا بنشر هذا الا امتثالا لقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) ولقوله تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) ولقوله (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) ولقول الرسول ﷺ «من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الأثم مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم» ولقوله أيضا «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه» فاللهم اجعلنا من خلفائك المخلصين وعلى نهج نبينا ﷺ سالكين . . . وقد رتبت هذا الكتاب على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وفي كل مباحث فالمقدمة في تعريف هذا الفن وبيان الايمان والاسلام وأقسام الحكم العقلي . والباب الأول في الالهيات والثاني في النبويات والثالث في السمعيات والخاتمة في نسب سيد المرسلين وأخلاقه وصفاته وشيء من سيرته عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم



التعريف

التوحيد هو علم يبحث فيه عن الله تبارك وتعالى وما يجب له من الصفات وما يستحيل وما يجوز ويبحث فيه عن الرسل وما يجب أن يكونوا عليه من الصفات وما يستحيل وما يجوز

الايمان

هو تصديق سيدنا محمد ﷺ فيما جاء به بأن تعتقد بقلبك وتذعن بجنانك أن محمداً ﷺ صادق في كل ماجاء به كالايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره وكافتراض الصلوات وبقية العبادات . ولذا ورد في الحديث المروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان جبريل عليه السلام سأل رسول الله ﷺ عن الايمان فأجابه قائلا « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره »

الاسلام

هو الانقياد والخضوع ظاهرا وباطنا لكل ماجاء به نبينا ﷺ من الشهادتين والصلاة والصيام الخ وكل من الايمان والاسلام المنجيين في الآخرة لاينفك أحدهما عن الآخر فهما متلازمان تلازم الروح للجسد والماء للعود الاخضر

وقد ورد مابيّن معنى الاسلام من حديث عمر حينما سأل جبريل محمدا ﷺ قائلا ما الاسلام ؟ فقال ﷺ « أن تشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا عبده

ورسوله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا » أما النطق بالشهادتين وهو أن تشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك شرط لاجراء الاحكام الدُّنيوية ، فمتى اعترف أحد بذلك عاملناه كبقية المسلمين من مناكحته والصلاة خلفه والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين وحفظ ماله ودمه . ولا يشترط خصوص هذا اللفظ بل المدار التّلفظ بأيٍّ لفظ يفيد الوحدانية لله تعالى والاعتراف بالرِّسالة لمحمد ﷺ فلو قال لا اله غير الله محمد رسول الله أو قال لا اله سوى الله محمد رسول الله أو قال لا اله ماعدا الله محمد رسول الله أو قال غير ذلك لكان كافيا ومنجياً لصاحبه

زيادة الايمان ونقصانه

أما ايمان الملائكة فانه لايزيد ولا ينقص وأما ايمان الانبياء فانه يزيد ولا ينقص وأما ايمان البشر فانه يزيد بزيادة الاعمال وكثرة الطاعات وينقص بالمعاصي ونقصان الاعمال . قال تعالى « واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا » وقال أيضا « ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم » وقد سأل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما رسول الله ﷺ قائلا هل الايمان يزيد وينقص قال (نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار) . وهكذا ورد كثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبويّة الدّالة على زيادة ايمان البشر زادنا الله ايمانا وجعلنا من المقبولين أعمالا

الحكم العقلي

هو اثبات أمر لأمر أو نفيه عنه من غير توقف على تكرار ولا وضع واضع فالمتوقف على التكرر الحكم العادي والمتوقف على وضع الواضع الحكم الشرعي

أقسامه

ينقسم الحكم العقلي ثلاثة أقسام : الوجوب والاستحالة والجواز . فالواجب

هو الذى لايقبل الانتفاء كالحكم بوجوب وجوده تعالى وكالحكم بأن الواحد نصف الاثنين غير أن الأول بدهىٌّ يحتاج الى دليل والثانى بدهىٌّ غير محتاج الى دليل

وأما المستحيل فهو الذى لايتصوَّر في العقل وجوده كالحكم بوجود شريك له تعالى وككون الثلاثة نصف العشرة غير أن الاول بدهى يحتاج الى دليل والثاني بدهى غير محتاج الى دليل

وأما الجائز فهو الذى يقبل الثبوت والانتفاء على السواء كتجويز ايجادك بعد العدم واعدامك بعد الوجود وكتجويز فقرك بعد الغنى واغنائك بعد الفقر وهكذا فكل الممكنات من قسم الجائزات

الباب الاول

فى المسائل التى يبحث فيها عما يتعلق بالاله

الصفات وتقسيمها

الصفة هي الأمر الثابت للموصوف وقد جرت عادة علماء التَّوحيد أن يقسموا الصفات الى أربعة أقسام : الأول الصفات النَّفسيَّة وهي أولى الصفات المسمَّاة بالوجود وسمِّيت بذلك لقيامها بذات الموصوف ونفسه ، الثانى : الصفات السَّلبية وهي التى سلبت عن المولى تبارك وتعالى أمراً لا يليق به وهي خمس : القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية . الثالث صفات المعانى وهنَّ سبع القدرة والارادة والعلم والحياة والسَّمع والبصر والكلام وهذه الصفات موجودة في نفسها حتى لو أزيل عنَّا الحجاب لرأيناها . الرابع الصفات المعنويَّة وهنَّ سبع كونه تعالى قادرا ومريدا وعالماً وحياً وسميعاً وبصيرا ومتكلمًا . ومعنى معنويَّتها نسبتها الى صفات المعانى

وقد زاد بعضهم ثلاثة أقسام أخر وعليه فيكون الخامس صفات الافعال وهي تعلق القدرة والارادة كالخلق والرزق والايجاد والاعدام . السادس الصفات الجامعة لسائر الصفات وذلك كالجلال والعظمة والكبرياء . السابع الصفات السمعية وهي عبارة عن معنى ورد به السمع وهو الكتاب والسنة المتواترة . وقد قسم العلماء الصفات أيضاً تقسيماً ثانوياً الى قسمين صفات متعلقة وصفات غير متعلقة فالصفات المتعلقة هي التي تقتضي أمراً زائداً على القيام بمحلها كالقدرة والارادة وغير المتعلقة لا تقتضي امراً زائداً على الذات وهي الحياة وسيأتي بيان كل ذلك وتفصيله ان شاء الله تعالى

حقيقة الله تبارك وتعالى

لما كانت العقول البشرية تعجز عن معرفة حقيقة الشيء من العوالم الى غاية ماتنتهي اليه انما هو الوصول الى بعض العوارض من الكائنات التي تقع تحت الحواس او يدركها العقل كان من اللازم عدم معرفة ذات الله تعالى

فاذا كانت النسبة بين وجودنا ووجود العوالم متصلة ولم نعرف منها الا بعض العوارض فكيف اذا كانت النسبة بين وجودنا ووجود الله منقطعة فهو خالق ونحن مخلوقون أن نصل الى معرفة ذاته بل الواجب علينا معرفته بصفاته ولذا ورد في الحديث (تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذاته فتهلكوا)

مايجب على المكلف

واجبٌ على كلّ مكلّفٍ وهو البالغ العاقل سليم الحواس الذى بلغته دعوة النبي ﷺ أن يعرف بالجزم المطابق للواقع عن دليل مايجب في حق ربنا وما يستحيل وما يجوز وسواء كان ذلك المكلف ذكرا أو انثي حراً أو عبداً

والوجب في حقه قسمان واجب اجماليٌ وواجب تفصيليٌ فالواجب له أجمالا كل كمال فما من كمال الا والله متصف به وكما لاته تعالى لاتتناهي ولذا

ورد في الحديث (ان لله كمالات لا نهاية لها) . وكما أنه يجب له كل كمال فيستحيل عليه كل نقص فما من صفة تعد نقصاً في موصوفها الا والله منزه عنها

وأما ما يجب له تفصيلا فعشرون صفة كلية عليها مدار الألوهية وعظمة شأن الربوبية وهي الوجود والقدم والبقاء ومخالفته تعالى للحوادث وقيامه بنفسه والوحدانية والقدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وكونه تعالى قادرا ومريدا وعالما وحياً وسميعا وبصيرا ومتكلما

واما المستحيل عليه تعالى تفصيلاً فاضداد هذه الصفات العشرين وهي العدم والحدوث والفناء والمماثلة لشيء من الحوادث والاحتياج والتعدد والعجز عن الممكنات والكراهة والجهل والموت والصمم والعمى والبكم وكونه عاجزا وكارها وجاهلا وميتا وأصم واعمى وأبكم تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً وأما الجائز في حقه تعالى ففعل كل ممكن أو تركه

وكمال هذا الاعتقاد أن تعرف هذه الصفات بالبراهين القطعية المفيدة للاعتقادات اليقينية . وهاك بيانها بيانا يشفيك وتوضيحاً يكفيك

تعريف الصفات وبراهينها

الوجود

هي صفة نفسية ثابتة له تعالى وليست بتأثير غيره . وقد اتفقت جميع المِلَل على وجوده تبارك وتعالى فاننا اذا نظرنا الى هذا العالم من حيوان ونبات وجماد وجدناها متغايرة فهذا حيوان وهذا نبات وهذا جماد والحيوان منه ماهو أبيض ومنه ماهو أسود ومنه ما هو أحمر والجمادات أيضاً متغايرة والنباتات كذلك

ومن هذا العالم علوي كالكواكب ومنه سفلي كالارض والجبال وبعضه نوراني وبعضه ظلماني وبعضه لطيف وبعضه كثيف وجميع هذه الاشياء

متغيرة من وجود الى عدم ومن حركة الى سكون . وكل هذا يدل على حدوث العالم ووجوده بعد العدم لان الاختلاف والتغير والحركة والسكون لا تكون الا للحادث فالعالم متغير وكل متغير حادث فالعالم حادث

ومتى ثبت حدوث العالم بجملته وتفصيله فلا بدَّ من أن يكون لهذا الحادث محدث يحدثه وموجد يوجده . لأنه لو وجد بدون موجد وحدث بغير محدث للزم الترجيح بلا مرجح وهذا مستحيل بداهة فلو أوجدت ميزانا ذا كفتين وهاتين الكفتان متوازنتان فلا ارتفاع لاحداهما على الأخرى فهل يتصور بأن احدى هاتين الكفتين ترجح عن الاخرى بغير سبب من قوة حيوان أو مصادمة هواء أو سقوط شيء فيها واذا كان لا يتصور ان هذا العالم الحادث وجد بغير موجد وحدث بغير محدث ، اذا وجب أن يكون لهذا الحادث محدث . ومتى علمنا ذلك وجب ان يكون المحدث موجودا لان المعدوم لا يصلح أن يكون موجد الشيء أصلا والعدم لا يكون سبباً للوجود وذلك المحدث الموجود هو اله العالم وهو الله تبارك وتعالى قال سبحانه في كتابه « أخلقوا من غير شيء أم هم الخالقون » وقال أيضاً « ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض » « هل من خالق غير الله » وقال الامام المطلبي رضي الله عنه « استقبلني سبعة عشر زنديقا في طريق غزة فقالوا ما الدليل على الصانع فقلت لهم ان ذكرت دليلا شافيا هل تؤمنون قالوا نعم قلت نرى ورق الفرصاد « التوت » طبعها ولونها وريحها سواء فيأكلها دود القز فيخرج من من جوفها الا برسيم « الحرير » ويأكلها النحل فيخرج من جوفها العسل وتأكلها الشاة فيخرج من بطنها البعر فالطبع واحد وان كان موجبا عندك فيجب ان يوجب شيئاً واحداً لان الحقيقة الواحدة لا توجب الا شيئاً واحداً ولا توجب متضادات متنافرة ومن جوز هذا كان عن المعقول خارجاً وفي التيه والجاً فانظروا كيف تغيرت الحالات عليها فعرفت انه فعل صانع حكيم

عالم قادر يحوّل عليها الاحوال ويغير التارات قال فبهتوا ثم قالوا لقد أتيت بالعجب العجاب فآمنوا وحسن ايمانهم » ولقد سئل أيضاً عن التوحيد فأجاب « بالنوم واليقظة عرفت الرب اريد النوم فيغلبني السهر وأريد السهر فيغلبني النوم »

وجاء رجل الى الامام أبي حنيفة رضي الله عنه فقال له ما الدّليل على الصانع فقال « أعجب دليل النطفة التي في الرحم والجنين في البطن وظلمة الرحم

ثم ان كان كما زعم أفلاطون الزنديق أن في الرحم قالبا منطبعاً ينطبع الجنين فيه فلزم الحمار ان يكون الولد اما مثنياً أو مذكراً لان الحقيقة لا تختلف فلما رأينا المرأة مرة تلد ذكرا ومرة أنثى ومرة توأمين وطورا ثلاثة وتريد ان تلد فلا تلد وتريد ان لا تلد فتلد وتريد الذكر فتكون أنثى وتريد الانثى فيكون الذكر على خلاف اختيار الأبوين علمنا انه قدرة قادر عالم حكيم » وان الفلاسفة ينادون من مكان بعيد لقد هلكوا وبالله كفروا ووقعوا في الهوى فتبا لمن يدعي الفهم وهو أعمى » وقد سئل اعرابي فقيل له بم عرفت ربك فقال « البعرة تدل على البعير وأثر الاقدام يدلّ على المسير أرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج وسماء ذات أبراج أفلا تدلّ على اللطيف الخبير »

وكذلك كثير من الآيات والحجج الواضحة ولا ينكر ذلك الا معاند جاحد كفار

ان آيات ربنا بيناتٌ ما يماري فيهنّ الا الكفور

ومتى ثبت وجوده تعالى فيجب ان يعلم انه ليس لوجوده مكان يحويه فهو مع كلّ موجود فلا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء . ومن لطيف الاشارة الى وجوده تبارك وتعالى قول سيدي أبي مدين التلمساني

الله قل وذر الوجود وما حوى ان كنت مرتاداً بلوغ كمال

فالكلّ دون الله ان حققته عدم على التفصيل والاجمال

واعلم بانك والعوالم كلها لولاه في محو وفي اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين محال
والعارفون فنوا به لم يشهدوا شيئاً سوى المتكبر المتعالى
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا في الحال والماضى والاستقبال

وقال غيره

ان شئت في فلك أو شئت في ملك أو شئت في مدر اوشئت في حجر
والكل ينطق ان الله خالقه وهو المليك ورب النفع والضرر

ومتى ثبت وجوده تبارك وتعالى بالبراهين الساطعة فيستحيل عليه ضده وهو العدم

القدم

ومما يجب له سبحانه وتعالى من الصفات صفة القدم ومعنى هذه الصفة انه تعالى لا أول لوجوده فلَيْسَ له افتتاح .

ثبت لدينا ان كل حادث محتاج الى محدث وذلك المحدِث هو الله تعالى وهو قديم لانه اذا لم يكن قديماً كان حادثا واذا كان حادثا احتاج الى محدث يحدثه وذلك المحدث محتاج الى محدث أيضاً وهكذا فينتهي الامر اما الى الدُّور وهو توقُّف وجود كل من الشيئين على وجود الآخر وهذ باطل . واما ان ينتهي الأمر الى التسلسل وهو ترتب أمور وتعاقبها ولا نهاية لها وهذا باطل أيضاً واذا كان الدور والتسلسل أدَّيا الى محال فلا يكون الله تعالى الا قديماً ومتي كانت ذاته قديمة فكذلك صفاته والا وجد الموصوف بدون صفته وهو محال ومتى وجب له القدم فقد استحال ضده وهو الحدوث

البقاء

ومما يجب له تعالى من الصفات صفة البقاء ومعنى ثبوت البقاء له تعالى انه لا آخر لوجوده فلا يَفْنَى يوماً من الأيام . اذا كان سبحانه قديماً لذاته فلا بدَّ ان يكون باقياً الى مالا نهاية لانه لو جاز عليه الفناء لاحتاج في فنائه الى من يعدمه ولا يعقل ان يعدم القديمَ حادث فلذا لا يمكن قبوله الفناء أصلا قال تعالى « هو الاول والآخر والظاهر والباطن » فكما انه أول بلا بداية فهو آخر بلا نهاية وقال تعالى « كل شيء هالك الا وجهه » . ومتى ثبت بقاؤه فقد استحال فناؤه

المخالفة للحوادث

ومن الصفات الواجبة له تعالى صفة المخالفة للحوادث ومعنى ذلك انه تعالى ليس مماثلا لشيء من المخلوقات فلا يوصف بالكبر أو الصغر أو البياض أو السواد ولا يوصف بالفوقيّة أو التّحتية أو الجسميّة أو الجوهرية أو العرضيّة ولا يكون مركباً ولا قابلا للقسمة . فاذا كان سبحانه قديماً وباقياً وهذه الحوادث ليست كذلك وجب ان لا يكون تعالى مماثلا لشيء منها ولو كان مماثلا لشيء منها لزم ان يكون حادثا مثلها لان ما شابه الحادث وماثله وجب ان يكون حادثا وقد ثبت قدمه فاستحالت مماثلته قال تعالى « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير »

القيام بالنفس

ومما يجب له تعالى من الصفات صفة القيام بالنفس ومعنى قيامه بنفسه انه غير مفتقر ومحتاج الى محلّ أي ذات يقوم به وكذا ليس محتاجا الى مخصص

بخصصه أي مؤثر يؤثر فيه سبحانه . اذا لم يكن سبحانه قائما بنفسه لاحتاج الى ما يقوم به وقد بطل احتياجه فيما مضى لما ثبت انه ليس عرضا ولا جوهرا ولا جسما ولا صفة وما دام كذلك فهو قائم بنفسه وليس مفتقرا الى غيره قال تعالى « ان الله لغنيّ عن العالمين » فهو تعالى غني عن جميع المخلوقات « يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنيّ الحميد » ومتى ثبت قيامه بنفسه استحال ضده وهو الاحتياج الى سواه وذلك هو المطلوب

الوحدانيـة

ومما يجب له تعالت اسماؤه من الصفات صفة الوحدة ومعنى ذلك انه تعالى « واحد في ذاته » بمعنى ان ذاته ليست مركبة من أجزاء ولا يناظره شيء في ذاته وانه تعالى « واحد في صفاته » بمعنى انه تعالى ليس له صفتان فاكثر من جنس واحد وليس لغيره صفة تشبه صفته وانه تعـالى « واحد في أفعاله » بمعنى انه الخالق لجميع الممكنات فلا يبرز شيء في الوجود الا وهو فعل له تبـارك وتعالى فلا يوجد له فعلان متضادان ولا يوجد لغيره فعل يماثل أفعاله

وهذه الصفة أهمّ الصفات ولذا سمّي علم التوحيد بها ولم يكفر بضدها الا بعض الانس واما الجن فبرمتّهم لا يعتقدون الشّرك لله تعالى وانما الـكافر منهم انما كفره بغير الاشراك . والدليل على انه واحد في ذاته انه لو كان هناك الهان فاما ان يتفقا على إيجاد كل مقدور فيتوارد مؤثران مستقلان على أثر واحد وهذا باطل ، وأمّا اذا اختلفا فاما ان ينفذ مراد كل منهما ويلزم عليه اجتماع الضدين واما ان لا ينفذ الا مراد واحد منهما فلزم ان يكون من لم ينفذ مراده عاجزا ومتى ثبت عجزه فقد ثبت عجز مناظره لانهما متشابهان

قال تعالى (لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) اي لو وجد في السموات والارض آلهة غير الله لفسدت السموات والارض ولما وجد هذا النظام البديع المتقن وها هما منظّمان لا فساد فيهما ولا اختلاف فبطل ما ادى اليه وهو وجود آلهة غير الله وثبت نقيضه وهو انه تعالى واحد لا شريك له قال تعالى « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض » وقال تعالى « وماأرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله إلا انا فاعبدون»

اما دليل كونه غير مركب فقد ثبت انه مخالف للحوادث لأنه متى كان مركبا احتاج الى مركبه . واما كونه واحدا في صفاته فلانه لو تعددت صفاته لكانت حادثة وقد ثبت قدمها. واما كونه واحدا في أوصافه بمعنى انه تعالى لا يوجد أحد يكون له صفة تشبه صفته فلانه لو وجد كذلك لتشابها وهو سبحانه مخالف للحوادث فبطل وجود صفة تشبه صفته . واما وجود فعل يشبه فعله فلا يكون الا من اله آخر واذا وجدَ فعلان والهان فقد شاركه في الكون غيره وقد أبطلنا ذلك . ومتى ثبتت له الوحدانية في الذات والصفات والافعال فقد بطل نقيضها واستحال وهو التعدد في الذات والصفات والافعال تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً

وقد تقدم من الصفات الى هنا ست الاولى هي التي تسمى بالنفسية وهي الوجود لانها قائمة بذات البارى تعالى ونفسه ، والخمس بعدها هي الصفات السلبية لان كل واحدة منها سلبت ونفت عن البارى أمراً لايليق به

القدرة

ومما يجب المولى تعالى من الصفات صفة القدرة وهي صفه قديمة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها ايجاد كل ممكن واعدامه على وفق الارادة

اذا ثبت فيما مضى ان جميع هذه العوالم من علويّ وسفليّ حادثة وموجودة بعد العدم وقد ثبت ان الموجد لها هو الله تعالى فلا بدَّ ان يكون هذا الموجد لهذه العوالم قادرا تامّ القدرة والسلطان ولا معنى لكونه هو الموجد مع عدم قدرته على ذلك الايجاد والاعدام ولو فرضنا عجزه لما وجدت هذه المخلوقات وها هي موجودة على أبدع نظام وأتقنه فثبتت بذلك قدرته .

وسواء كانت هذه الممكنات مما له سبب كأفعالنا الاختيارية من حركات وسكنات عند وجود السبب من تعلق القدرة الحادثة بالمقدور على وجه المصاحبة ، أو مما لا سبب له كايجاد السموات والارض فان وجودها ليس لسبب من الاسباب وان كان في ايجادها مصالح العباد . قال تعالى « انه كان عليما قديرا » وقال أيضاً « ان الله على كل شيء قدير » وقال « وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا » « انا كل شيء خلقناه بقدر » .

وقدرته سبحانه تتعلق بجميع الممكنات لا فرق بين ممكن وآخر فانها لو تعلقت بممكن دون غيره لزم الترجيح بلا مرجح وهذا باطل . فكل الممكنات ما وجد منها وما سيوجد وما انعدم منها وما سينعدم كائن باختياره وقدرته على حسب ما أراده وقدَّره أزلا ولا تتعلق القدرة بالواجبات لانها لو تعلَّقت بها ايجادا لزم تحصيل الحاصل فان الواجب حاصل فكيف تتعلق به ايجاداً فهل يكون ايجاد فوق ايجاد . ولو تعلَّقت بالواجب اعداماً لزم قلب الحقائق وجعل الواجب غير واجب وهذا باطل . وكذلك لا تتعلق القدرة بالمستحيلات فانها لو تعلقت بها اعداما لزم تحصيل الحاصل ولو تعلقت به ايجادا لزم قلب الحقائق وهذا كله باطل فلزم تعلقها بالممكنات دون الواجبات والمستحيلات .

وعلى هذا لو سأل سائل فقال هل يقدر الله تعالى على اعدام الواجب

الفلانى أو على ايجاد المستحيل الفلاني كشريك البارى تعالى · فالواجب على طريقة الادب ان تقول ان الدليل والبرهان قد دلا على ان قدرة الله تعالى لا تتعلق بالواجبات ولا بالمستحيلات لا ايجادا ولا اعداما وما ذكرت من السؤال من قبيل الواجبات أو المستحيلات فقدرة الله تعالى لاتتعلق بهما . ولا تقل له ان الله تعالى لا يقدر على ذلك فانه يكون سوء أدب منك في جانب الحضرة الالهية ويوهم العجز عليه تقدس وتعالى .

الارادة

ومما يجب له سبحانه من الصفات صفة الارادة وهى صفة وجودية ازليَّة قائمة بذاته تعالى شأنها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه .

فالممكنات التى يجوز عليها الابراز وعدمه مذكورة في قول الشاعر :

الممكنات المتقابلات وجودنا والعدم الصفات
ازمنة امكنة جهات كذا المقادير رَوَى الثِّقات

فالممكن يقبل كل واحد من هذه الممكنات قبولا مساويا لقبول ما يقابله وليس أحد المتقابلين باولى بالقبول مما يقابله فالله تعالى بهذه الصفة يخصص الممكن بالوجود بدلا عن مقابله وهو العدم أو يخصصه بالعدم بدلا عن مقابله وهو الوجود ويخصص الممكن أيضا بالمقدار المخصوص من الطول والقصر والتوسط بدلا عن سائر المقادير التى يقبلها . ويخصصه أيضاً بالبياض بدلا عن السواد ويخصصه بالعلم بدلا عن الجهل وبالوجود في زمان كذا بدلا من بقية الازمنة وهكذا مع جميع الممكنات فالواجب علينا اعتقاده ان لله ارادة عامة تخصص هذه الممكنات ببعض ما يجوز عليها فما من موجود في الكون الا وهو موافق لارادته تباركت أسماؤه .

والدليل على وجوب الارادة له تعالى أنه لو لم يكن مريدا لما يقع من الكائنات لكان مكرها على ايجادها واذا كان مكرهاً كان ناقصاً والنقص في حقه محال وأنه لو لم يكن مريدا لكان مجبورا مقهورا فلا يكون قادراً كيف وقد ثبتت قدرته على كل ممكن . وهذه الصفة تتعلق بجميع الممكنات تعلق تخصيص فهي تخصص الممكن ببعض مايجوز عليه والقدرة تنفذه ولو تعلقت ببعض الممكنات لكان ذلك ترجيحاً بلا مرجح وهو باطل . ولا تتعلق الارادة بالواجبات ولا بالمستحيلات فانها لو تعلقت بالواجب وخصصته على أنه يقع بالقدرة والحال أنه واقع لزم تحصيل الحاصل وان تعلقت باعدامه لزم قلب الحقائق وهكذا في المستحيل كما تقدم مثل ذلك في القدرة . فاذا علمت ماتقدم وجب أن تعتقد ان جميع مايقع في الكون من خير وشر وحسن وقبيح مراد الله تبارك وتعالى . فكيف لايكون مرادا له تعالى وهو الملك المطلق وقد أطبقت الأمة من عهد النبوة الى يومنا هذا على كلمة (ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) وقال الله تعالى « أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً » وقال « وما تشاءون الا أن يشاء الله » فكل مراد للعبد واقع منه فهو بمشيئة الله تعالى وإرادته : فبطل بهذا قول المعتزلة (ان المعاصي واقعة على غير ارادة الله بل بارادة العبيد) كيف يكون ذلك اذا هو مقهور مغلوب . فلو فرض أن رئيساً في قرية من القرى وفي هذه القرية عدوٌّ له فهل يرضى هذا الرئيس أن يقع في قريته مراد عدوه ويتعطّل مراده وهو الرئيس المطلق واذا كان لايرضى بذلك زعيم القرية خوفا من نسبة العجز اليه فكيف يرضى بنسبة هذا اليه الملك الجبار ذو الجلال والاكرام . فلو نفذ مراد ابليس على غير مراد الله تعالى في ايجاد المعاصي فقد نسبنا العجز اليه تعالى في منع مراد عدوّه من الوقوع في ملكه فكيف ذلك والله يقول « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » وقال أيضا

« ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً » واذ ثبت وجوب الارادة له تعالى فقد بطل ضده وهو المطلوب

العلم

ومما يجب له تعالى من الصفات صفة العلم وهي صفة وجوديّة أزليّة قائمة بذاته تعالى تتعلق بالاشياء على وجه الاحاطة من غير سبق خفاء . فهو سبحانه يعلم جميع الاشياء واجبها ومستحيلها وجائزها كليّها وجزئيّها عظيمها ودقيقها ما كان ماضياً منها أو حالا أو استقبالا .

اننا نشاهد هذه العوالم فنجدها على نظام بديع وترتيب محكم مع اشتمالها على وضع كل شيء في موضعه وقرن كلّ سبب بمسبّبه كل هذا يدلُّ على أن صانعه عالمٌ حكيم .

فاذا شاهدنا الكواكب وجدنا أن لكل كوكب مداراً مخصوصاً وبعداً بينه وبين غيره مخصوصا لو اختلَّ ذلك الكوكب عن موضعه وعن بعده عن مكانه لاختلَّ نظام العالم بأسره . كل هذا يدلُّ على علم صانعه وحكمة مدبره .
واذا شاهدنا بذرة الحنظل توضع بجوار بذرة البطّيخ في أرض واحدة وتسقى بماء واحد فنجد الأولى تمتصُّ مايناسبها من الغذاء فلا تمتص الا المرَّ الزعاق والثانية تمتص مايناسبها من الغذاء فلا تمتص الا الحلوَ المذاق كل هذا يشهد بعلم صانعه وحكمة موجده

اذا تفكرت في حالة الجنين في بطن أمه وكيف يتطوَّر من حالة الى حالة وكيف ينتقل من طور الى طور فتارة يخلق ذكرا وأخرى يخلق انثي وتارة يكون فرداً وأخرى يكون مثنى كل هذا يدل على علم مكوِّنه وحكمة موجده .
واذا تفكرت في علم العلماء وحكمة الحكماء وجدت أن هذه العلوم وتلك الحكم انما هي تكميل المتصفين بها ورفعة لهم عن مستوى غيرهم فهل يصح أن يكون

مخلوق أكمل من خالقه وهل يعقل أن واهب الشيء يفقده؟ كلا . . .

وعلمه تعالى يتعلق بجميع الاحكام الواجبات والمستحيلات والجائزات تعلق انكشاف . ولا تتصور أن علم الله تعالى مكتسب كعلمك فانك كنت جاهلا فتعلمت فصرت عالما أما هو تبارك وتعالى فعلمه لم يسبقه جهل ولم يتقدمه خفاء . قال تعالى « ان الله بكل شيء عليم » وقال « يعلم ما في السموات والارض ويعلم ماتسرّون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور » وقال « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » وقد ورد أن الله تعالى يجمع الرّسل يوم القيامة ويسألهم عما فعلته أممهم معهم وما أجابهم به قومهم وقت دعوتهم الى الحقّ فينفي الرُّسل العلم عن أنفسهم ويكلون العلم اليه تعالى « يوم يجمع الله الرُّسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لاعلم لنا انّك أنت علّام الغيوب » أي ان علمنا انما يتعلق بالظاهر فقط فلا اعتداد به وانما علمك يشمل الظاهر والباطن فهو المعوَّل عليه . وقال تعالى « وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الاّ هو ويعلم مافي البرِّ والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين » . واذا ثبت له تعالى العلم فقد انتفى عنه الجهل وما في معناه من الظن والشك والوهم والذُّهول والغفلة والنسيانُ والسّهو لأنّ الجهل وما في معناه نقص والله مبرأ عن النّقص فهو لايعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم

الحياة

ومما يجب له تعالى من الصفات صفة الحياة وهي صفة وجوديّة أزليّة قائمة بذاته تعالى تصحّح لمن قامت به أن يتّصف بالقدرة والارادة والعلم وبقية الصفات . وقد ثبت فيما مضى أنّ الله تعالى متّصف بهذه الصفات ومتى كان

كذلك وجب أن يكون متّصفا بالحياة لانّه لو فقدت الحياة لما وجدت هذه الصفات . وقد ثبت أنه تعالى موجدٌ لهذا العالَم بأسره وهو الذى وهبه هذا الوجود وأعطاه الحياة فهل يليق أن يكون واهبا للحياة وهو فاقدها وهل يليق أنْ يوجد هذه العوالم وهو غير حيّ أو يكون المخلوق كاملاً وهو ناقص تعالى الله عن ذلك قال تعالى « هو الحيُّ لا اله إلا هو » « وتوكل على الحيِّ الذي لايموت » « الله لا اله إلا هو الحيُّ القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم » والحياة لاتعلُّق لها بشيء من أقسام الحكم العقلى لانها لاتطلب أمراً زائداً عن الذّات . ومتى ثبتت له الحياة فقد انتفى عنه الموت وثبت بذلك المطلوب

السمع

ومما يجب لمولانا جلّ وعلا من الصفات صفة السمع وهي صفة وجوديّة قديمة قائمة بذاته تعالى ينكشف بها كل موجود

متى علمنا أن السَّمع صفة كمال والله سبحانه متَّصف بكل كمال لزم أن يكون الله متَّصفاً بالسَّمع . وقد ورد مايفيد اتّصافه بالسمع من الكتاب والسنّة فمن ذلك قوله تعالى « وهو السَّميع البصير » وقوله مخاطبا موسى وهارون عليهما السلام « انَّني معكما أسمع وأرى » وقال حكاية عن ابراهيم عليه السلام الزاماً لابيه آذر « يا أبت لم تعبد ما لايسمع ولا يبصر » وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه وهم رافعون أصواتهم بالدعاء (اربعوا بأنفسكم فانكم لاتدعون أصمَّ ولا غائبا وانما تدعون سميعاً بصيرا) . والواجب ملاحظته ان الله يسمع الاصوات من غير أصمخةٍ ولا آذان وانه تعالى يسمع دبيب النَّملة على الصَّخرة الملساء في الليلة الظلماء . ومتى ثبت لدينا انه تعالى سميعٌ فقد بطل نقيضه وهو أنه أصمُّ والسَّمع يتعلق بجميع الموجودات فما من موجود واجباً

كان أو ممكناً الا والله تعالى يسمعه

البصر

ومما يجب له تعالى من الصفات صفة البصر وهي صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى ينكشف بها كل موجود قديماً كان أو حادثاً

متى ثبت لدينا أن البصر صفة كمال وأن الله تعالى متّصف بكل كمال وجب أن نعتقد أنه تعالى متصف بالبصر ولذا قال تعالى (وهو السميع البصير) (انني معكما أسمع وأرى) وقول الرسول ﷺ (وانما تدعون سميعاً بصيرا) ومتى ثبتت له تعالى صفة البَصَر فقد بطل نقيضه وهو العمى. غير أننا نلاحظ أنه تعالى يبصر الأشياء من غير حَدَقَةٍ وأجفان

وهذه الصفة تتعلّق أيضاً بجميع الموجودات فما من موجود واجباً كان أو ممكناً الا والله يبصره فهو يبصر مسير النملة السوداء على الصخرة الصّماء في اللّيلة الظّلماء.. ومما يجب اعتقاده أنّ الانكشاف بالسّمع مغاير للانكشاف بالبصر وان الانكشاف بهما مغايرٌ للانكشاف بالعلم ولكلٍّ حقيقة يفوّض أمرها الى الله تعالى

الكلام

ومما يجب له تعالى من الصفات صفة الكلام وهو صفة أزلية قديمة وجوديّة قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت تدلُّ على جميع المعلومات

متى ثبت لدينا أنّ الكلام صفة كمال وانه تعالى متّصف بجميع الكمالات وجب أن نعتقد أنّ الله تعالى متّصف بصفة الكلام وقد ثبت أنه خالق قوة النُّطق لمن يشاء ولا يعقل أن واهب الشيء يفقده قال تعالى (وكلم الله موسى تكليما) وقد أفاد ابراهيم عليه السلام أنّ عدم النطق نقص في حقّ الاله حينما

خاطب قومه قائلا (فاسألوهم ان كانوا ينطقون) وقد أجمع الأنبياء والمرسلون والعلماء والمؤمنون على أنه تعالى متكلم وقد ذهب العلماء الى أن صفة الكلام له تعالى هي صفة واحدة كبقية الصفات وليست متعدِّدة وانما هي تتنوّع باعتبار تعلقاتها فان تعلقت بطلب شيء كانت أمراً كقوله تعالى « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » وان تعلقت بترك شيء كانت نهياً كقوله تعالى « ولا تقربوا الزّنا » وكقوله « ولا تقتلوا النّفس التي حرَّم الله الا بالحق » وكقوله « ولا يغتب بعضكم بعضاً » وان تعلّقت بأن موسى ﷺ فعل كذا كانت خبرا كقوله تعالى « فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين » وان تعلّقت بأن للطائع الجنّة كانت وعداً كقوله « وجنة عرضها السماوات والأرض اعدت للمتقين » وان تعلقت بان للعاصي النار كانت وعيداً كقوله تعالى « واتقوا النار التي أعدت للكافرين » الى غير ذلك من الانواع . أخرج الطبراني عن سعيد بن جبير رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « اوحى الله الى موسى عليه السلام اني جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامي وعشرة آلاف لسان حتى أجبتني » . وأخرج القضاعيّ ان الله تعالى ناجى موسى بمائة ألف وأربعين ألف كلمة فأشرق وجهه بالنّور لما جاء من عند ربِّه ليعرف الناس صدق ما ادّعاه فما رآه أحدٌ الا عميَ فكان يمسحُ الرّائي اليه وجهه بثوب ممّا عليه فيردُّ الله عليه بصره فتبرقع لئلا تذهب أبصار الناس عند رؤيته وبقي البرقع على وجهه الى أن مات وكان يسدُّ أذنيه عند رجوعه من المناجاة لئلا يَسْمَع كلام الناس فيموت من وحشته وقبحه وصار يسمع دبيب النّملة السوداء في الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ

وقال سيدي علي الخواص رضي الله عنه نشأة أهل الجنة مخالفة لنشأة أهل الدنيا التي نحن عليها صورة ومعنى كما أشار اليه حديث « ان في الجنة ما لا عين

رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » فيبصر الانسان في الجنة بسائر جسده ويسمع كذلك ويأكل كذلك فكيف بغير القليل مما هو أعظم من ذلك قال ولم أر أحداً تكلم على ما ذكرته غير سيدي عمر بن الفارض حيث قال :

يشاهد مني حسنها كل ذرة ... بها كل طرف جال في كل طرفة

ويُثني عليها في كل لطيفة ... بكل لسان طال في كل لفظة

وأنشق ريّاها بكل رقيقة ... بها كل أنف ناشق كل هبة

ويسمع مني لفظها كل بضعة ... بها كل سمع سامع متنصت

ويلثم مني كل جزء لثامها ... بكل فم في لثمة كل قبلة

فمتى قيل بذلك فلا يستغرب قول العلماء أن موسى عليه السلام سمع الكلام بجميع أجزائه من جميع جهاته .

ومما يجب اعتقاده أن القرآن كلام الله وكذا التوراة والانجيل وتدل على ما تدل عليه الصفة القديمة

أما الالفاظ التي نقرؤها بأفواهنا ونسمعها بآذاننا ونكتبها في مصاحفنا فان نظرنا اليها من جهة أنها كلام الله القديم ازلا فهي قديمة غير حادثة قطعاً وان نظرنا اليها من جهة أنها اللفظ المنزل على محمد ﷺ ، فهي حادثة لانها تتصف بصفات الحدوث فهي بهذا خلق من خلقه لان الانسان يتلوها بلسانه ويكيفها بصوته وانما غلب عليها أنها كلام الله فلانه ليس لغيره فيها مدخل ومتى ثبت لدينا أنه تعالى متصف بصفة الكلام فقد بطل اتصافه بالبكم وهذا هو المطلوب . وهذه الصفات هي المسماة بصفات المعاني وهي موجودة في نفسها ولو ازيل عنا الحجاب لرأيناها ....

الصفات المعنوية

ومما يجب لمولانا من الصفات الصفات المعنوية وهي سبع كونه تعالى قادراً ومريداً وعالماً وحياً وسميعاً وبصيراً ومتكلما . وسميت بذلك لأنها منسوبة الى صفات المعاني فان الاتصاف بهذه الصفات فرع الاتصاف بصفات المعانى في التعقل فان اتصاف الذات بكونه قادراً لا يصح الا اذا قامت به القدرة واتصاف الذات بكونه مريداً لا يعقل الا اذا قامت به الارادة واتصاف الذات بكونه عالماً لا يصح الا بعدقيام العلم به وهكذا في بقية الصفات المعنوية فاتصاف محل بالمعانى يوجب اتصافه بالمعنوية لان المعاني ملزومة المعنوية والمعنوية لازمة لها

وتعريف هذه الصفات واقامة الدليل عليها وذكر اضدادها يؤخذ من صفات المعاني السابقة

الجائز فى حق الله تعالى

هو فعل كل ممكن أو تركه وذلك كخلق الذوات والافعال اختيارية كانت أو اضطرارية كالرزق والاحياء والاماتة والاضلال والهداية ، فمن الجائز في حقه تعالى خلق الخير والشر ولا يقال بأن خلق الشر قبيح لان القبيح ماقبحه الشرع والحسن ماحسنه الشرع وليس للعقل مدخل في التحسين ومن الجائز في حقه أن يفعل غير الصالح والاصلح لعباده ولا يجب عليه شيء والا كان مغلوباً مقهوراً وهومنزه عن ذلك خلافا لما مشى عليه المعتزلة من قولهم « ان فعل الصلاح والأصلح واجب على الله لعباده » فانه لو وجب عليه الصلاح والأصلح لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا بالفقر وفي الآخرة بالعذاب الأليم فان الأصلح له عدم

خلقه ولو قدّر خلقه لكان الأصلح له اماتته صغيرا أو سلب عقله قبل التكليف
حكي ان الحافظ ابن حجر مرّ يوما بالسوق في موكب عظيم وهيئة حسنة فهاجمه
يهودي يبيعُ الزيت في حالة رثّة وبشاعة مستقبحة فقبض على لجام البغلة وقال
له ياشيخ الاسلام تزعم ان نبيكم قال « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »
فاي سجن أنت فيه وأي جنة انا فيها فأجابه الحافظ قائلا « انا بالنسبة لما أعده
الله لى في الآخرة من النعيم كأنني الآن في سجن وأنت بالنسبة لما اعده الله
لك في الآخرة من العذاب الأليم كانك في جنة » فأسلم اليهودي وحسن اسلامه
فمن الواجب اعتقاده ان افعال الله تعالى بالاختيار ولا يجب عليه شيء وهو
الواحد القهّار . سأل الامام أبو موسى الاشعريّ امام أهل السنة في علم التوحيد
شيخه أبا عليّ الجبائى وهو يقرّر مسألة وجوب الصلاح على الله تعالى . قال الاشعري
ماتقول في ثلاثة اخوة مات أحدهم كبيراً مطيعاً والآخر كبيرا عاصيا والثالث
صغيراً قال الجبائىّ الاول يثاب في الجنة والثاني يعاقب في النار والثالث لا يثاب
ولا يعاقب . قال الاشعرى فان قال الثالث لربه لم أمتّنى صغيرا ولم تُبقنى حتى
أكبر فأطيعك لأثاب في الجنة قال الجبائيّ يقول الربُّ تعالى انّي كنت أعلم منك
انّك لو كبرت لعصيت فدخلت النار فكان الاصلح لك موتك صغيرا قال
الأشعرى فان قال الثاني يارب لِمَ لَمْ تمتنى صغيرا لئلا أعصى فأدخل النار
فماذا يجيب الربُّ فبهت الجبائى ويروى انه قال للاشعرى أبِكَ جُنون فقال
الاشعرى لا ولكن وقف حمار الشيخ في العقبة فترك الاشعريُّ مذهب الجبائي
واشتغل هو ومن معه بابطال رأى المعتزلة واثبات ما ورد به الكتاب والسنّة
من انه تعالى لا يجب عليه شيء لعباده . . . .

ومن الجائز في حقه تعالى عقلا إثابة العاصى وتعذيب المطيع فانه المالك
المطلق الفاعل المختار

فان يثبنا فبمحض الفضل وان يعذب فبمحض العدل

واما من قبيل الشرع فانه قد ورد ان الطائع يثاب وان العاصي يعاقب. فاذا نظرنا الى وعده باثابة الطائع كان حصول الثواب واجباً شرعاً لورود الوعد به وان نظرنا الى وعيده بان العاصي يعذب وان الكافر في النار مخلد كان تخليد الكافر واجبا شرعا والا لزم الكذب في خبره تعالى وأما تعذيب العاصي فيجوز ان يتخلف لان تخلف الوعيد كرم وتفضل فان المؤمنين غير المغفور لهم يجوز تخلف الوعيد في حقهم ويصح ان ينفذ ولو في واحد منهم .

وبالجملة فانه لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية والكل بخلقه فليست الطاعة مستلزمة للثواب وليست المعصية مستلزمة للعقاب وانما هما امارتان تدلان على الثواب والعقاب حتى لو عكس ذلك لكان حسناً منه ولا حرج .

ومن الجائز في حقه ارسال الرسل لطفاً ورحمة بعباده . فكل ما تقدم وأمثاله من الممكنات عقلا جائز في حقه تعالى فلا يجولن بعقل عاقل ان شيئاً من ذلك واجب عليه . والدليل على ان هذه الممكنات جائزة في حقه انه تعالى لو وجب عليه فعل ممكن منها لصار الممكن واجبا ولو استحال عليه شيء منها لصار الممكن مستحيلا وذلك قلب للحقائق عن حقائقها قال تعالى « وربك يخلق ما يشاء ويختار » « لا يسأل عما يفعل » . .

أفعال العباد

أفعال العباد جميعها مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها عظيمها ودقيقها طاعة كانت أو معصية وهي منسوبة الى العباد من جهة الكسب والاختيار والكسب هو مقارنة القدرة الحادثة للقدرة القديمة من غير تأثير للحادثة وذلك ان العبد اذا توجهت ارادته لفعل من الافعال أوجد الله في العبد شيئين الاول حركاته

وسكناته والثاني قدرة العبد فالسبب هو توجه ارادة العبد وهذا السبب عادي . فاذا قصد العبد فعل الخير خلق الله تعالى فيه القدرة على فعل الخير وخلق الخير معه واذا قصد العبد فعل الشرّ خلق الله فيه قدرة فعل الشر وخلق الشرّ معه فيكون العبد هو المفوت لفعل الخير بقصده فعل الشرّ فيستحق بذلك الذم فبوجود الجزء الاختياري للعبد في فعل الخير أو الشر صحّ الثواب والعقاب . وقد قال الجبريّة من المعتزلة ان العبد كالرّيشة المعلّقة في الهواء تسيرها الرّياح كيف شاءت وقالوا في ذلك شعراً :

ما حيلة العبد والاقدار جارية عليه في كل حال ايها الرائي
القاه في اليمّ مكتوفا وقال له اياك اياك ان تبتلّ بالماء

وانكر عليهم أهل السنّة ذلك وأجابوا عن قولهم هذا قائلين :

ان حفّه الأُلطف لم يَمْسسه من بلَل ولم يبال بتكتيف والقاء
وان يكن قَدّر المولى بغرقته فهو الغريق ولو القى بصحراء

فكما ان صاحب العقل السليم يدرك وجوده ولا يحتاج في ذلك الى دليل كذلك يُدْرِكُ من نفسه انه يشعر بافعاله الاختياريّة فيزن نتائجها بعقله ويقدرها بارادته . ولولا انه يشهد من نفسه ان له اختيارا في أفعاله لما نَحَى باللاّئمة على نفسه عند ارادة كسب رزق فيفوته وربما سعى الى منجاة فيسقط في مهواة فحق لم يحكم التّدبير عنف نفسه ولاَمها ولذلك يعاود العمل من طريق أقوم بوسائل أحكمَ امّا اذا فاته مقصوده من غير تقصير منه في المَسعَى ولا مدخل لغيره في مصير عمله كان هبت ريح فأغرقت بضاعته أو نزلت صاعقة فأهلكت ماشيته أو علق أمله بعيّن فمات أو بذى منصب فعزل فيتجه عند ذلك الى مقصد أسمى فيعرف ان وراء تدبيره سلطانا لا تصل اليه سلطته فيخضع عند ذلك ويخشع ويردّ الامر الى مكوّن الكائنات ويترك الاعتراض

على ما يجرى من المقدورات . حكي ان الشيخ عفيف الدين الزّاهد كان بمصر فبلغه ما وقع ببغداد من القتل فانه وقع السيف فيها اربعين يوماً فقتل الف الف وعلّقت النصارى المصاحف فى اعناق الكلاب وجعلوا المساجد كنائس والقوا كتب الأئمة في دجلة حتى صارت كالجسر تمرّ عليها الخيل فانكر الشيخ عفيف الدّين ذلك وقال يارب كيف هذا وفيهم الاطفال ومن لا ذنب له فرأى في النوم رجلا ومعه كتاب فاخذه فاذا فيه :

دع الاعتراض فما الامر لك ولا الحكم في حركات الفلك

ولا تسأل الله عن فعله فمن خاض لجة بحر هلك

القضاء والقدر

ليست مسألة القضاء والقدر من المسائل السّهلة حتى يمكن لمثلى ان يستوفيها في مثل هذا الموضوع وانما هي مسألة عويصة كثر فيها الاخذ والرّد ولذا افردها فطاحل العلماء بتآليف مستقله . . . .

لذلك أريد ان آتى في هذا الموضوع بشيء من القضاء والقدر توفية للكتاب حتى لا يخلو عن الكتابة في موضوع من موضوعات هذا الفنّ .

جاء القضاء في اللّغة على معان كثيرة منها انه الحكم ولذا يقولون القاضى بمعنى الحاكم وقد يأتى القضاء بمعنى الامر كما في قوله تعالى « وقضى ربك ان لا تعبدوا الا إياه » أى أمر ربكم ان لا تعبدوا غيره . وقد يجيء بمعنى الاخبار كما في قوله تعالى « وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحينَ » أى اخبرناه بذلك . أما القدر فمعناه الترتيب والحدّ الذي يبلغه الشيء وينتهى اليه قال تعالى « وقدر فيها أقواتها » بمعنى رتّب فيها أوقاتها

وحدوها . فالقضاء هو حكم الله تعالى في شيء بحمده أو ذمّه والقدر هو ايجاد الأشياء على ترتيب معين في صفة كذا وزمن كذا ومكان كذا فهذا وأمثاله لا يدلّ على شيء من الاكراه للعبد وبذا بطل قول الجبريّة القائلين بأن العبد كالريشة المعلقة في الهواء . فلو كان العبد مقهوراً لما أمرنا الله تعالى ولا رسوله بالعمل ولما أجهد هو ﷺ نفسه في تبليغ الرسالة واظهار الدعوة ولكان يحق له الاكتفاء والاتكال على القضاء والقدر . روى معاوية بن عمر قال حدثنا زائدة عن منصور عن سعد بن عبيدة عن ابى عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال كنّا في جنازة فى بقيع الغرقد فأتى النبى ﷺ فقعد ونحن حوله ومعه مخصرة فنكت بها ورفع رأسه فقال ما منكم من نفس منفوسة الا كتب مكانها من الجنة أو النار والا قد كتبت شقية أو سعيدة فقال رجل من القوم يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل فمن كان من أهل السعادة يصير الى أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة يصير الى أهل الشقاوة فقال رسول الله ﷺ « اعملوا فكل ميسر اما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة وأما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة » ثم قرأ رسول الله ﷺ « فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسره للعسرى » وروى الاصبغ بن نباته ان شيخاً قام الى على بن أبي طالب كرم الله وجهه بعد انصرافه من صفين فقال اخبرنى عن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء الله وقدره فقال الامام والذى خلق الحبّة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئاً ولا هبطنا وادياً ولا علونا تلْعة الا بقضاء الله وقدره فقال الشيخ عند الله احتسب خطاي ما أرى لى من الاجر شيئاً فقال الامام مهْ أيها الشيخ عظم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين فقال الشيخ كيف والقضاء والقدر ساقانا فقال الامام

وَيْحَكَ لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والامر والنهي ولم تأت لائمة من الله لمذنب ولا محمدة لمحسن ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء ولا المسيء أولى بالذم من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وجنود الشياطين وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب وهم قدريَّة هذه الامة ومجوسها . ان الله أمر تخييرا ونهى تحذيراً وكلف يسراً لم يعص مغلوباً ولم يطع مستكرها ولم يرسل الرسل الى خلقه عبثاً ولم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار »

هذا الحديث وتلك الآيات تدل على أن العبد مختار فيما يفعل ولم يكن مغلوبا ولا مجبوراً . وهاك مثالاً آخر يوضّح الأمر لك توضيحاً . هب أن عندك مريضاً ودعوت له الطبيب وقت اشتداد المرض ففحص الطبيب المرض مستعيناً على ذلك بالادوات الطبية والعقاقير الصحية ثم حكم قائلا ان هذا المريض سيصاب غداً بحمّى كذا فاذا وقع ما أخبر به الطبيب من اصابة المريض فهل يكون حكم الطبيب واخباره جابراً للمريض على ايقاع الحمى منه غدا ، وهل لايكون المريض مسئولا عن تعاطي أسباب الحمى . ولو فرضت أنك من أهل علم الفلك فحسبت حسابك بناء على علمك وعلمت أن في يوم كذا من شهر كذا في ساعة كذا سيكون كسوف للشمس او خسوف للقمر فهل اذا وقع ما علمته وأخبرت به يكون علمك هذا وحكمك وأخبارك مؤثراً في ايجاد ذلك الكسوف أو الخسوف . فمن هذا يعلم أن الاختيار والحرية ثابتان للعبد لايؤثر فيهما علم ولا حكم ولا قضاء ولا قدر فهو مختار في ذهابه الى المساجد وقراءة الدروس أو ذهابه الى المواخير وارتكاب الفجور وان كان هذا لايكون إلا على وفق ارادة الله وعلمه وقضائه وقدره . قال حكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني الاعتقاد بالقضاء والقدر يتبعه صفة الجراءة والاقدام وخلق الشجاعة

والبسالة ويبعث في النفس اقتحام المهالك التي ترجف لها قلوب الاسود وتنشق منها مرارة النُّمور فهذا الاعتقاد يطبع النفس على الثبات واحتمال المكاره ومقارعة الاهوال ويحلّي النفوس بحلي الجود والسخاء ويدعوها الى الخروج عن كل ما يعزُّ عليها بل يحملها على بذل الارواح والتخلي عن نضرة الحياة كل هذا في سبيل نصرة الحق ، والذي يعتقد أن الاجل محدود والرزق مكفول والاشياء بيد الله يصرفها كما يشاء كيف يرهب الموت في الدفاع عن الحق واعلاء كلمة الصدق والقيام بما فرض عليه ؟ وكيف يخشى الفقر مما ينفق من ماله في تعزيز الحق وتشييد المجد على حسب الاوامر الالهية وأصول الاجتماعات البشرية . هذا الاعتقاد هو الذي حدا بالمسلمين الى افتتاح البلاد وتدويخ الممالك واقتحام المهالك فحيَّروا بذلك ذوي الالباب وسلبوا عن أصحاب العقول عقولهم حيث أرجفوا كل قلب وأرعدوا كل فريصة وما كان يسوقهم في هذا إلا الاعتقاد بالقضاء والقدر ، فالاعتقاد بالقضاء والقدر والتوكل مطلوب منا في الجد والعمل لافي البطالة والكسل فلا يقعد الشخص عن العمل ويقول هذا هو القضاء والقدر بل مطلوب منه أن يجدّ فيما يشرّفه ويجتهد فيما يرفعه ويُعلي من شأنه من كل عمل فيما حددته الشريعة الغراء ومع هذا يعتقد بعقيدة القضاء والقدر والتوكل على الله تعالى في السرّ والعلن والسفر والحضر

السعادة والشقاوة

السعيد من مات على الايمان ولو تقدمه كفر والشقيُّ من مات على الكفر ولو تقدمه ايمان ، فان السعادة والشقاوة مقدرتان أزلا وأنهما لاتتبدلان ولا تتغيران فالخاتمة تدل على السابقة ويدل على ذلك ما روي في الصحيحين عن رسول الله ﷺ قال « انَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه

و بينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه و بينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » وقد ورد أيضاً « انما الاعمال بخواتيمها » ولا ينبغي أن يترك العمل اتكالا على ذلك فان في هذا غفلة عما وضعه الله من الاسباب الدّالة على مسبّباتها والمستلزمة لها عادةً ولذا ورد « اعملوا فكل ميسّر لما خلق له » فمن عمل الطاعات وأجهد نفسه في الصالحات فان قدّر له الموت على الايمان كان من ملوك الجنة وساداتها وان فرض والعياذ بالله تعالى موته على الكفر لم تضرّه تلك الاعمال شيئاً بل ربما خفّفت عنه العذاب لان الكافر معذّب على المعاصي زيادة على عذاب الكفر ومن لم يكن من أرباب المعاصي عوقب على الكفر فقط ومن هذا القبيل قول القائل :

قال المنجم والطبيب كلاهما　　لاتبعث الاموات قلت اليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر　　أو صحّ قولى فالخسار عليكما

رؤية الله تعالى فى دار النعيم

العقول السليمة والفطر المستقيمة لاتمانع في أن الله تعالى تجوز رؤيته في الدار الآخرة ولا في الدار الدنيا وذلك أن الله تعالى تضافرت الادلة على وجوده وكل موجود يصح أن يُرى فالله تبارك وتعالى يصح أن يرى ولكنها في الدنيا لم تقع لغير نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فانه رأى ربه بعيني رأسه كما صححت ذلك الاحاديث الواردة . فمنها ما رواه عِكرِمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « ان الله تعالى اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم بالرؤيا » وعن كعب أن الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام فكلم موسى مرتين ورأى محمدا مرتين . وقال الامام الشافعي رضي الله عنه : أنه صلى الله عليه وسلم رأى الله تعالى فى كل مرة من مرات المراجعة . وقال بعض أهل العلم

نظر رسول الله ﷺ عن يمينه فرأى ربه و نظر عن يساره فرأى ربه و نظر أمامه فرأى ربه و نظر خلفه فرأى ربه فكره الانصراف من هذا المقام الشريف فعلم الله ذلك منه فقال يا محمد أنت رسولي الى عبادي و لو دمت على هذا المقام مابلغت رسالتي فانزل الى الارض و بلغ رسالتي لعبادي و حينما قمت الى الصلاة أعطيتك هذه المرتبة فلذلك قال « وجعلت قرة عيني في الصلاة » هذا بعض ما ورد من رؤية نبينا ﷺ ربه تبارك و تعالى ليلة ان اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى و ليلة عرج به الى السماء و فرضت عليه الصلوات

واما رؤية الله تعالى في الدار المقيم فالعقول السليمة تجيزها والشرع الشريف يوجبها فمتى وقعت الرؤيا في الدنيا وهى دار الظلمة أفلا تقع في الدار الآخرة وهي دار المقام الدائم واذا كان الله تعالى موجودا فهل تمتنع رؤيته .

وقد ورد الكتاب و السنة ووقع الاجماع على رؤيته تعالى في الدار الآخرة: قال تعالى « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » وقال تعالى « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » روى عن أنس رضى الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة وزيادة النظر الى وجه الرحمن جلّ جلاله وقال تعالى « لهم ما يشاؤن فيها و لدينا مزيد » قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك رضي الله عنهما هو النظر الى وجه الله عزّ وجل وقد روى البخارى « انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » وقد أجمعت الأمة وأهل الرأي منها من لدن الاصحاب رضي الله عنهم الى وقتنا هذا على ثبوت الرؤية لله تعالى في دار النعيم .

قال الامام مالك رضي الله عنه لما حجبَ أعداءه فلم يروه تجلّى لأوليائه حتى رأوه ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعيَّر الكافرون بالحجاب في قوله تعالى « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » وقال الامام الشافعي رضى الله عنه لما حجبَ قوماً بالسخط دلّ على أنّ قوماً يرونه بالرّضا ثم قال

والله لو لم يوقن محمد بن ادريس بأنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا وقال أهل العلم الرؤية متفاوتة على حسب أحوال العباد فالرؤية العامة كل جمعة و بعض الخواص يراه كل يوم بكرة وعشية و بعضهم لا يزال مستمرًا في الشهود وقال امام الطريقة وغوث الخليقة أبو زيد البسطامى رضى الله عنه ان لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار وعذابها . وقالت السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها :

ليس قصدي من الجنان نعيما غير أني أريدها لأراك

ولو لم تكن الرؤية جائزة لما طلبها النبي المعصوم موسى عليه السلام بقوله « رب أرني أنظر اليك » واياك أن تظن أن رؤية الله تعالى نجعله في مكان من الرائي أو احدى جهاته بل يراه المؤمنون من غير كيف ولا انحصار منزهاً عن المقابلة والجهة والمكان وأنه تعالى يرى من غير إحاطة بل يحار العبد في العظمة والجلال حتى لا يعرف اسمه ولا يشعر بمن حوله من الخلائق فيتلاشى الكل في جنب عظمته تعالى وتسكر العقول من تمام لذتها . أذاقنا الله و إياك حلاوتها

الباب الثاني في النبويات

تمهيدات

خلق الله تعالى هذا العالم على نظام بديع وترتيب محكم ومن جملة هذا العالم الحيوان وهو الانسان وقد اختير من بين سائر العوالم وشرفه الله بخطابه وأمره ونهيه « انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » وقد سخر الله له جميع المخلوقات

وأوجدها لمنفعته « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة » وما من موجود الا والانسان أكرم منه « ولقد كرَّمنا بنى آدم وحملناهم في البرِّ والبحر ورزقناهم من الطيِّبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ومن حكمة الله تعالى أن جعل عقول بنى آدم متفاوتة وعلى ادراكات متباينة فبعضهم ينظر الى ناحية من نواحي الحياة والبعض الآخر ينظر الى الناحية الاخرى والبعض ينظر الى جملة من النَّواحي والجهات . فمنهم مثلا من ينظر الى ناحية المال فيرى أن المال عليه قوام الانسان وبه يبلغ صاحبه ما يريد ويحصل على ما يتمنى فتبهره عظمته وتمتلكه قوته فيرى أن السعادة كلها في جمعه والحصول عليه لذلك تراه يكدح ويجدّ طول حياته في ايجاده والعثور عليه بأي طريق مشروعاً كان أو غير مشروع فلا يتحرَّى طريقاً أقوم لأن المال قد ملك عليه جميع مشاعره فتراه يستلبه من مالكه ويستولى عليه من صاحبه متى وجد الى ذلك سبيلا. يسرق ويحتال في تنوع السرقة ويقتل ويحتال في تنوع القتل والنهب والسلب فلا يراعي بذلك حرمة لله خالقه ولا لمخلوق مثله ليسدَّ بذلك مطامعه ويرضى شهوته التي لا تقف عند حد . ومن هذا النوع من يبهره الجمال فيفتتنُ به أيما افتتان فيسعى للتّمتّع به ولو كان ذلك من وجه غير شريف فتراه يجولُ في الطرقات ويدخل المواخير والحانات ليطفيء شهوة نفسه وليحصل على الجمال الذي سلبه لبه وعقله . ومن الناس من ينظر الى حالة الرؤساء والحكام فيرى أن السعادة عليهم قد قصرت وانهم أصحاب الجاه بالأمر والنهى فيسعى ليكون مثلهم . وربما قتل أحدهم ليحلّ محله . وكل هؤلاء متى ارتقوا الى درجة تطلبوا أعلى منها حتى يصل الامر الى دعوى الرُّبوبيَّة والالهيَّة ولذا قيل (كل نفس مضمرة ما أظهره فرعون) وقالوا أيضاً (الظلم كمين في النفس تظهره القوة ويخفيه الضعف)

فما تقدَّم يعلم أن حاجات هذا النوع ليست محدودة بحدّ ولا محصورة

بعد وانه وان كان هؤلاء الناس متفقين جميعاً على أن من الاعمال ما هو نافع ومنها ما هو ضار الا أنهم مختلفون في النظر الى كل عمل بعينه (وذلك نتيجة اختلافهم في الامزجة) لذلك ضربوا الى الشر في كل وجه وكلٌّ يتيقّن أو يظن أنه يطلب نافعاً مفيداً ويتّقي ضاراً شديداً . كذلك ليست عقول الناس مستوية في معرفة الله تعالى ولا في معرفة الدّار التي بعد هذه الديار ولا يفهم حياة بعد هذه الحياة ولا يستطيع أن يقرِّر جزاء كل عملٍ من الاعمال من الخيرات أو الشرور . كذلك من الاعمال ما لا يمكن معرفة وجه الفائدة فيه ولا حكمة مشروعيته فمثلا صور العبادات كأعداد الرّكعات في الصلوات وتعيين ما يصلح لها من الاوقات وكجعل بعض الازمنة صالحة للعبادة والبعض الآخر غير صالح لها وكحرمة الصوم في يومي العيد وحرمة الفطر في اليوم الذي قبل عيد الفطر وهكذا كثير من العبادات لا يصل اليها عقل بشري ولا يستقل بمعرفة ذلك . لكل ما تقدم كان العقل محتاجا الى قيادة تقوده الى ما فيه خير الدنيا والآخرة وتجمع عليه ما تشتّت منه وتثبته على ماتزعزع فيه ومتى ثبت احتياج العقل الى قيادة تقوده لزم ان تكون تلك القيادة من جنس الانسان ليفهم بنو جنسه عنه ما يقول ولئلا يحتجوا بانهم لا مقدرة لهم على فهم كلام من ليس من نوعهم فيكون لهم بذلك بعض العذر . ولزم أيضاً ان يكون هؤلاء القواد ممتازين عن سائر الافراد وفي أعلى طبقاتهم ليبرهنوا بذلك لبني الانسان انهم انما يتكلمون بلسان غير لسانهم وعقول غير عقولهم بل انهم متكلمون عن الله تباركت اسماؤه الذي أحاط بكل شيء خبرا ووسع كل شيء علماً . وهؤلاء القواد المختارون لقيادة البشر انما هم الرسل والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فاذا كان المولى قد تفضل فأحسن كل شيء صنعاً أفلا يتفضل على نوع الانسان الذي اختاره فعلمه البيان بارسال هؤلاء الرسل والانبياء ليكونوا قواداً الى الناس ونوراً يهتدي بهم فبذلك يبلغ

الانسان ذروة المجد الاعلى الذي ينفعهم في الدار الاولى والاخرى فتكون وظيفة النبوة محددة لانواع الاعمال التى تناط بها سعادة الانسان في الدارين وتطلب منه نيابة عن الله تعالى الوقوف عند الحدود وتفهمه مقدار الجزاء على الخير والشر وتقول له اذا فعلت كذا من الخير كان لك في الآخرة كذا من الثواب واذا فعلت كذا من الشر كان عليك في الآخرة كذا من العقاب مما لا يستقل العقل بادراكه فهؤلاء الاخيار في الدنيا وكأنهم ليسوا من أهلها وهم وفد الآخرة في لباس من ليس من سكانها. يرسل هؤلاء الاخيار كي تقوم على الخلق الحجة الواضحة ويتم بهم الاقناع «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» فيكونون مبشرين بثواب الله لمن أطاع منذرين بعقابه لمن عصى فمنزلة هؤلاء من البشر كمنزلة العقل من بقية الجسد فكما لا يصلح الجسد بغير عقل كذلك لا يصلح نوع الانسان الا بهؤلاء الرسل، والا خبطوا خبط عشواء في دياجير الظلمات . .

الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام

الرسول هو انسان ذكر حرٌ بعثه الله تعالى الى عبيده ليبلّغهم عنه أحكامه التكليفية والوضعية والنبي هو من أوحي اليه بشرع يعمل به سواء أمر بتبليغه أو لم يؤمر واذا كانت منزلة هؤلاء الرسل من الخلق كمنزلة العقل من بقية الجسد وأنهم المبلغون عن الله تعالى فبأيٍّ طريق يكون التفاهم والمخاطبة بينهم وبين ربهم ؟ ذلك الطريق هو الوحي .

الوحي

هو اعلامٌ في خفاء أو أنّه كلام الله تعالى المنزل على نبيّ من أنبيائه لانكشاف ما غاب من مصالح البشر . فاذا أراد الله تعالى اختيار أحد الى

النبوّة أو الرّساله أيّده بجملة أمور ومن هذه الامور وحيه اليه . والطرق التى كان جبريل يأتى بها الى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كثيرة ومن أشهرها طريقان الاول أن يأتي الملك الى النبيّ ﷺ بصورة البشر فيكامه كما يكلّم البشر بعضهم بعضا وخطابه هذا بلسان الاشباح لابلسان الارواح والنبيُّ في هذه الحالة يعلم أنَّ هذا ملك أرسل اليه وأما الحاضرون معه فيرونه ويشاهدونه ولكن لايعرفون ملكيّته وذلك كما ثبت في صحيح البخاريّ أن جبريل عليه السلام جاء بصورة اعرابيّ فجلس أمام النبي ﷺ وسأله عن الاسلام والايمان والاحسان والساعة فاجابه عن ذلك وفي هذه الحالة يتجرّد الملك عن حالته الملكيّة ويتصوّر بالصّورة البشريّة ، ولاغرابة في هذا فان الملائكة قادرون على التشكل بأي شكل حسن . والطريق الثاني أن يأتي الملك الى النبيّ ﷺ والملك على حالته الملكية وحضرة الرّسول ﷺ يتجرَّدُ من حالته البشريّة الى الحالة الملكية فيتلقى الوحي عن الملك وروحه الشريفة مستعدّة الى ذلك لأن علاقتها بالملأ الأعلى اكثر من علاقتها بعالم المحسوسات وبعد ذلك يعود النبي ﷺ الى حالته البشريّة وهذه أشدُّ الاحوال عنده ولذا كان ينزل العرق من جبينه في اليوم الشديد البرد وهذه أيضا ليست من الغرابة في شيء لان الله تعالى هو الذى اختار هذا الرّسول وخصّه بمزايا عظيمة أفلا يجعله متلقياً للوحي بأيّ شكلٍ من الاشكال وعلى أي وضع من الاوضاع

المعجزة

وكذلك يؤيد الله رسله وأنبياءه بالمعجزات وخوارق العادات والمعجزة هي الامر الخارق للعادة على يد مدّعي النبوّة أو الرسالة فمتى ادّعى الذّكر الحر النبوّة أوالرسالة ظهرت على يده أمور هذه الامور من خوارق العادات فلم تجر العادة بمثلها وهذه المعجزة يظهرها الله سبحانه وتعالى على يد أنبيائه

ورسله تأييداً لهم فيما يدّعون وتصديقاً لهم فيما يقولون حتى تظهر للناس حقيقة أمرهم ليهتدى من أراد الهداية عن بيّنة ويضلَّ من أراد الاضلال عن بينة « ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون » وليست هذه المعجزات من المستحيلات وانما هي عقلا من الجائزات فى حق الله تعالى فاننا اذا تصورنا قدرة الله تعالى وعظمته وأنه الفاعل المختار الكبير المتعال سهل علينا التصديق بهذه المعجزات التي يجريها على يد أنبيائه ورسله فاظهار هذه الخوارق على أيديهم منزّل منزلة قوله صدق عبدى في كل مايبلغ عنيٌّ » مثال ذلك اذا كنت موجودا بمجلس ملك من الملوك ووقفت في حضرته بين الجالسين معه وبيدك رسالة وقلت انّني أمرني هذا الملك الجالس على كرسيّه بأن أقرأ عليكم رسالته هذه فانكر الحاضرون عليك وقالوا انك كاذب فيما ادعيت فأتنا بما يجعلك صادقا فقلت اهم اذا تحول الملك عن كرسيه عند طلبي منه ذلك تصديقاً لى فهل تصدقون فقالوا نعم فتوجّهت أنت الى الملك وقلت له اذا كنتُ صادقا في قولى فقم على كرسيك فقام الملك من فوق كرسيه على خلاف عادته فماذا يحصل عند الحاضرين من حال هذا المدعي فبالضرورة يحصل عندهم يقين انك صادق فيما تقول ومحق فيما تدّعى فكذلك المعجزة هكذا حالها فاذا ادعى الرجل النبوة وأيده الله بخوارق العادات دلَّ ذلك على صدقه وانه مرسل من خالق الارض والسموات فمن هذه الخوارق التى جرت على أيدى الرسل والانبياء انفلاق البحر الاحمر لسيدنا موسى عليه السلام .

معجزات موسى عليه الصلاة والسلام

لمَّا اشتد الخصام بين موسى وقومه وبين فرعون تبع فرعون بقومه موسى صلى الله عليه وسلم مع قومه فلما وصلوا البحر الاحمر ضرب سيدنا موسى البحر بعصاه فانقسم نصفين كل قسم منه كان كالجبل الشامخ فلما جازه موسى وقومه

تبعهم فرعون وقومه فلما توسطوا البحر انطبق عليهم قال تعالى في كتابه العزيز (فأوحينا الى موسى ان أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كلُّ فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثمَّ الآخرين وانجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين) ومن معجزاته أيضا نبع الماء من الحجر عند ماضربه بعصاه الشريفة فان بني اسرائل لمَّا كانوا في التيه عطشوا عطشا شديدا فضرب موسي بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً فعلم كل سبط مشربهم وكان الجيش ستمائة الف وتسع وكان المعسكرُ اثني عشر ميلاً قال تعالى (واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتاعشرة عيناً قد علم كلُّ اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين) ومن معجزاته أيضا عليه السَّلام انقلاب عصاه ثعبانا عظيماً فقد روي ان فرعون جمع السَّحرة في مملكته وأنهم القوا حبالا غلاظا وخشباً طوالا فصارت حيَّات ملأت الوادي وركب بعضها بعضاً فالقى موسى عليه السلام عصاه بأمر ربه فصارت ثعبانا عظيما فتلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها فلما ابتلعتها جميعها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم أخذها موسي فصارت عصي كما كانت قال السَّحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصيُّنا فسجد السحرة وقالوا آمنا بربِّ العالمين رب موسى وهارون قال تعالى « وجاء السَّحرة فرعون قالوا ان لنا لاجراً ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقرَّبين قالوا ياموسي اما ان تُلْقِيَ واما أن نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوْا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وأوحينا الى موسى أن ألقِ عَصَاكَ فاذا هي تَلْقَفُ مايأفكون فوقع الحق وبَطَلَ ماكانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وأُلقِيَ السحرة ساجِدِينَ قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون »

معجزات صالح عليه السلام

ومن المعجزات التي جرت على يد سيدنا صالح عليه السلام اخراج الناقة فلما اقترح قومه عليه ان يخرج لهم من الصَّخرة ناقة فاخرجها الله سبحانه وتعالى فتنة لهم واختبارا هل يؤمنون بعد ذلك أم لا فلما أخرجها لهم كانت تشرب ماء بئرهم يوماً ويشربون هم من لبانها فاذا عطش أحدهم شرب من لبنها ويشربون يوماً الماء وهي لا تشرب منه في ذلك اليوم ولا تعطيهم لبناً واستمروا على ذلك زمناً ثم سئموا هذه الحالة فتفاوضوا في أمرهم فَكَمِنَ واحد منهم وهو قُدَارُ بن سالف أُحَيْمِرِ ثمود فَرَماها بالنبل فقتلها قال تعالى « انا مرسلو الناقةِ فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب مُحْتَضَرٌ فنادوا صاحبهم فتعاطى فَعَقَرَ فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر »

معجزات ابراهيم عليه السلام

ومن المعجزات التي أجريت على يد سيدنا ابراهيم عليه السلام عدم احراقه بالنار وذلك انه حصل الجدال بين ابراهيم عليه السلام وقومه فأخذ ينصحهم وهم لا يقبلون ويأتي بكل الطرق اليهم وهم يصدون فلما غلبهم بالحجة والبراهين أرادوا الانتقام منه فهيئوا ناراً عظيمة جمعوا فيها من الحطب ما شاءوا وقالوا حرِّقوه فان النار أهولُ ما يعاقب بها لتنصروا آلهتكم بالانتقام لها فالقوه فيها بعد وضعه في المنجنيق مغلولا فجاءه جبريل عليه السلام قائلا له أَلَكَ حاجة فاجابه ابراهيم عليه السلام امَّا اليك فلا واما

الى الله فعلمه بحالى يغنيه عن سؤالى قال تعالى « قلنا يانار كونى برداً وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين »

معجزات عيسى عليه السلام

ومن المعجزات التي أجريت على يد سيدنا عيسى عليه السلام أنه كان يصنع من الطين على هيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً حياً ويطير باذن الله وكان يأتيه الجم العظيم من المرضي واذا كان المريض لايستطيع الحضور اليه ذهب هو اليه فكان يشفي مرضهم بالدّعاء فكان يبريء الاكمه والابرص ويحيي الموت باذن الله بغير استعمال العقاقير الطبيّة كما يفعله الاطباء قال تعالى حكاية عنه (اني قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وابرىء الاكمه والابرص وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » ومن المعجزات التي أجريت على يده عليه السلام انزال مائدة من السماء روى ان قومه اقترحوا عليه ان ينزل لهم مائدة من السماء ليأكلوا منها وروى أنها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنْديلَ وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشويّة بلا فلوس (أي قشر) ولا شوك تسيل دَسَماً وعند رأسها ملح وعند ذنبها خَلٌ وحولها من أنواع البقول ماخلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله امن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس

منهما ولكن اخترعه الله سبحانه وتعالى بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يُعدْ نعم الله ويزدكم من فضله فقالوا ياروح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مستوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وفي قول كانت تأتيهم اربعين يوماً يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الاغني مدة عمره ولا مريض الا برىء ولم يمرض أبداً ثم أوحي الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس كذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا قال تعالى « اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسي ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذاباً لا اعذبه احداً من العالمين » وهكذا كثير من المعجزات ظهرت على ايدي الرسل الكرام ذكرنا منها طرفاً لتكون على بينة من صدق هؤلاء الاخيار ولتؤمن بذلك مطمئناً قلبك فان نبينا ﷺ اخبرنا بهذا كله فواجب تصديقه في كل ماجاء به حتى تكون مؤمناً حقا وصدقا

طرف من معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

اقتضت حكمة الله تعالى ان يؤيد كل رسول او نبي بمعجزات هي خوارق

العادات واقتضت حكمته أيضاً ان تكون هذه المعجزات من جنس ما برع فيه قوم الرسول المرسل اليهم فمثلا لما كان قوم موسى عليه السلام بارعين في فن السحر كانت أهمُّ معجزات موسى عليه السلام من جنس ما تفوّقوا فيه فقلب لهم عصاه ثعبانا عظيما والتقمت حبالهم وعصيهم التي هي مثل الثعابين والحيات ولما عادت كما كانت وتلاشي ماالتقمته هذه العصا خرّ السّحرة سجّداً وآمنوا بان موسى لم يقدر على الاتيان بهذا من عند نفسه بل ادركوا ان الآتي بهذه الخارقة لابدّ ان يكون هو الله تعالى وقبلوا تعذيب فرعون وصلبهم على جذوع النخل وارهاقهم الذُلَّ والهوان فكانت بذلك معجزة من أكبر المعجزات عند هؤلاء السحرة وعند غيرهم اما السحرة فحصل عندهم يقين بان هذا من عند الله فأسلموا وأما غيرهم فانهم اذا تصوروا أن هؤلاء السحرة من أشد الناس تمسكا بدينهم ودين آبائهم وانهم من المقرّبين الى فرعون وعزه ورفاهيته وتركوا كل هذه النعم التي أغدقت عليهم وتركوا دين آبائهم وأجدادهم وقبلوا التعذيب والتنكيل بهم حصل عندهم يقين بأن موسى عليه السلام على حق في دعواه ومتى حصل عندهم هذا الاعتقاد آمنوا بهذا الرسول أيضاً كما آمن السحرة . كذلك كان قوم عيسى عليه السلام بارعين في فنِّ الطّبّ فلما أرسله الله اليهم أتاهم بمعجزات من جنس ما برعوا فيه فكان يبرىء الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله فلما شاهد البارعون في هذا الفنِّ هذه الخوارق آمنوا واسلموا وقالوا ان الطبيب اذا عالج المرض أمكن ان يزول بعد زمن ونرى ان عيسى بمجرد وضع يده على المرض يزول والطب يفعل مفعوله في حدود مخصوصة اما ارجاع بصر الاعمى واحياء الموتى فلا يكون في طاقة البشر فآمن من هداه الله الى الايمان بصدق رسالة عيسى عليه السلام . وكذلك حينما ارسل محمد صلى الله عليه وسلم كان قومه بارعين

ومتفوقين في فن البلاغة والفصاحة فكان لزاما ان يأتي قومه بمعجزة من جنس ما برزوا فيه الا وهو الفصاحة والبلاغة فأتاهم بالقرآن الكريم وقال هذا من عند الله خالقي وخالقكم وهو على كل شيء قدير، فلما نظروا في سيرته عليه الصلاة والسلام وانه أمي لم يمارس صناعة القراءة والكتابة ولم يكن ميالا للاجتماع بأرباب هذه الصناعة ولم يترك بلده حتى يقال انه تعلم هذا خارج مكة ولم يروا عليه في حياته كذباً وتحداهم وقال لهم ليس في وسعكم الاتيان بمثل أقصر سورة منه وانه لم يكن ذا مال حتى يسيطر عليهم بماله ولم يكن ذا سلطان فتقصد تزييد استرداده فلما تأمل هذا كله عقلاء قريش والميالون الى الحق منهم أذعنوا لما يقول وفهموا ان الاتيان بمثل هذا لم يكن في استطاعة بشر. كيف يكون في استطاعة اي مخلوق ان يأتي بكلام محكمة آياته يقص عليهم سيرة الاولين ويأتي بما سيكون بين اللاحقين يحكي لهم حال ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم وتحداهم بقوله: ان كنتم في ريب مما أقول فأتوا بمثل أقصر سورة منه « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » ثم خاطبهم قائلا « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » فأقامهم هذا الكلام وأقعدهم واجهدوا أنفسهم في تكذيب صاحبهم وكلٌّ منهم كان حريصاً على تكذيبه ومنهم من كان يعلم أحوال الماضين ويتناجون بها فلا يظهرونها لسواهم فأخذوا ينظرون كل وجه حتى يأتوا بشيء يكذبه وتربصوا به كل التربص فاذا القرآن قبيلٌ غير قبيل الكلام وجسم غير طبع الاجسام وديباجة كالسماء في استوائها لا وهيٌ ولا صدعٌ فهو عصمة قوية وجمرة متوقدة وأمر فوق الامر وكلام يحارون فيه بدءا وخاتمة فهي الحديث « فيه نبأ ما قبلكم وخبر

ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل » لذلك كان القرآن أكبر معجزة من معجزات سيدنا محمد ﷺ . كان أكبر معجزة لانه المعجزة الخالدة الى آخر الزمان ولم تزل كما زال غيرها من المعجزات . والقرآن كما انه معجزٌ من هذا الوجه فهو معجز أيضاً من كل الوجوه فانه لم يدع شيئاً مما فات أوما هو حاضر أوآت الا ذكره تصريحا أو تلويحا وما من خير في الدنيا والآخرةالا أمر به ومامن شر في الدنيا والآخرة الا نهى عنه وكذلك معجز من جهة انه أخبر بغيبيات كثيرة وجاءت موافقة لما ذكره وأخبر به فمن ذلك قوله تعالى « غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » روى ان فارس غزوا الروم ووافوهم باذرعات وبصرى أو الجزيرة فغلبت فارس الروم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرنَّ عليكم فنزلتْ هذه الآية فقال لهم أبو بكر لايقرنَّ الله أعينكم فوالله لتظهرنَّ الروم على فارس بعد بضع سنين . فقال له أبيٌّ بن خلف كذبت اجعل بيننا أجلاً أناحبك . عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله ﷺ فقال له الرسول البضع مابين الثلاثة الى التّسع فزايده في الخطر ومادّه في الأجل فجعلاه مائة قلوص الى تسع سنين ومات أُبيٌّ بن خلف من جرح رسول ﷺ بعد قفوله من أحد فظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبيّ وجاء به الى رسول الله ﷺ فقال له تصدق به وبهذا تكون الآية من دلائل النبوة لأنهـا أخبار عن الغيب بما سيكون . ومن دلائل اعجاز القرآن الاخبار بأن النبي ﷺ وأصحابه يدخلون

المسجد الحرام آمنين مطمئنين فانه عليه الصلاة والسلام رأى في النوم أنه وأصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصّروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصّرنا ولا رأينا البيت فنزل قوله تعالى « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنّ المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلّقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريبا » وهذه الآية أيضا من دلائل النبوة حيث أخبرت بغيب فكان كما أخبرت ، ومن ذلك قوله مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم « والله يعصمك من الناس » وقد عاش عليه الصلاة والسلام طول حياته محفوظا من الاعداء مع كثرتهم واحاطتهم به من كل جانب

وهو لم يكن ذا حرس يحيط به واستمر مرعياً برعاية الله تعالى حتى انتقل الى الدار الآخرة على فراشه ، وقد روى انّ اعرابياً وجده نائماً تحت شجرة ومعلقاً سيفه بها فتناول الاعرابيُّ السيف وسله من غمده ليقتله عليه الصلاة والسلام فاستيقظ من نومه ورأى الأعرابيَّ سالا السيف فقال له الاعرابي من يمنعك مني ؟ فأجابه صلى الله عليه وسلم بقوله (الله) فسقط السيف من يد الاعرابي وآمن وحسن ايمانه . ومن الاخبار بالمغيبات قوله تعالى « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم امناً » وقد حصل ماقال من تدويخ الممالك وامتلاك البلاد والعباد وصارت الطمأنينة في كلِّ بلد من بلاد الاسلام فتمرُّ المرأة من مكان بعيد الى آخر ولا تخاف الا الله تبارك وتعالى واستولى الصحابة ومن بعدهم على ملك لم يكن لغيرهم من أسلافهم فكان ذلك من دلائل النبوة ومن ذلك قوله تعالى « انا نحنُ نزّلنا الذّكر وانا له لحافظون » وهاهو القرآن محفوظٌ من التغيير والتبديل يحفظه الشيوخ والشبان

على ظهر قلب لم يكن ذلك لكتاب من الكتب السماوية ولولا حفظ الله لكتابه المبين وأنه المعجزة الخالدة لما بقي منه الى اليوم حرف واحد فضلا عن أن يبقى بجملته على الحرف الواحد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. كيف لا يكون القرآن معجزاً بجملته وتفصيله وقد شهد له أعداؤه. روى انه لما نزل قوله تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكَّرون » قال عثمان بن مظعون رضى الله عنه ما كنت أسلمت الا حياء من رسول الله ﷺ فلما كنت عنده نزلت هذه الآية فاستقر الايمان في قلبي فذهبت فقرأتها على الوليد بن المغيرة وكان من أشدّ الاعداء لرسول الله ﷺ فلما سمعها ووعاها قال (والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر) ولما سمعها أبو جهل اللعين قال « ان آلهه ليأمر بمكارم الاخلاق » واخرج البارودي وأبو نعيم في كتاب معرفة الصحابة عن عبد الملك بن عميرة قال بلغ اكثم بن صيفى مخرج رسول الله ﷺ فأراد ان يأتيه فأتى قومه فانتدب رجلين فأتيا رسول الله ﷺ فقالا انا رسولا اكثم ليسألك من أنت وما جئت به فقال النبي ﷺ انا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله ثم تلا عليهم هذه الآية « ان الله يأمر بالعدل الخ » قالوا ردّد علينا هذا القول فردّده عليه الصلاة والسلام عليهما حتى حفظاه فأتيا اكثم فاخبراه فلما سمع الآية قال اني لأراه يأمر بمكارم الاخلاق وينهى عن مذامها فكونوا في هذا الامر رأسا ولا تكونوا فيه اذنابا. فاذا كان هؤلاء الذين هم أشد الاعداء لحضرة الرسول ﷺ يشهدون بفضل القرآن ويعترفون بأنه لم يكن من قول البشر فماذا يكون الاعتقاد فيه؟ والفضل ما شهدت به الاعداء.

طرف من تفسير هذه الآية الكريمة

« العدل » هو التسوية في الحقوق فيما بين العباد وترك الظلم وايصال كل ذى حق الى حقه « الاحسان » هو ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فهو يراك وان تحب للناس ما تحبّ لنفسك، فان كان غيرك مؤمنا تريد ان يزداد ايمانا وان كان كافرا تحب ان يدخل في الاسلام « وايتاء ذى القربى » هو ان تصل رحمك سواء كانوا قريبين أو بعيدين فتقوم بواجباتهم تحسن الى محسنهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكرم كبيرهم وترحم صغيرهم وتصلهم بما احتاجوا اليه فان احتاجوا الى المال وكان عندك بذلته لهم وان احتاجوا الى مساعدة غيرها بالتوسط لهم في مصالحم وكنت أهلا لذلك فعلت وان لم تقدر على مساعدتهم بشيء من هذا هدأت خاطرهم بكلمة طيبة أو دعوة صالحه « وينهى عن الفحشاء » الفحشاء كل ما قبح من القول والفعل فما من فعل ذميم الا والله قد نهى عنه وما من قول قبيح الا والله قد حذر عنه « والمنكر » هو ما ينكره الشرع الشريف من شرك وكفر وكل مالا يعرف في شريعة ولا سنّة « والبغى » هو الكبر والظلم والتطاول على خلق الله والعدوان عليهم واحتقارهم واهانتهم وايذاؤهم بأي نوع من أنواع الايذاء قال بعض العلماء ان اعجل المعاصي البغي ولو ان جبلين بغى احدهما على الآخر لدكّ الباغي وبالجملة هذه الآية تأمرك ان تكون مستوياً في السر والعلانية وان تكون سريرتك أحسن من علانيتك وتنهاك ان تأتي شيئاً غير مشروع وفعلا غير محمود قال الامام الرازي بعد ما ذكر معنى الآية واطال فيها: وتفصيل القول في ذلك انه تعالى أودع في النفس البشرية قوى اربعا وهي (الشهوانية البهيمية) و (الغضبية السبعية) و (الوهمية الشيطانية) و (العقلية الملكية) وهذه الاخيرة لا يحتاج الانسان الى تهذيبها لأنها من جوهر

الملائكة عليهم السلام ونتائج الارواح القدسية العلويّة وانما المحتاج الى التهذيب الثلاث قبلها . ولما كانت الاولى أعنى القوة الشهوانية انما ترغب في تحصيل اللذات الشهوانية وكان هذا النوع مخصوصاً باسم الفحش الا ترى انه تعالى سمّي الزنا فاحشة اشار الى تهذيبها بقوله « وينهى عن الفحشاء » المراد منه المنع من تحصيل اللذات الشهوانية الخارجة عن اذن الشريعة ولما كانت الثانية اعنى القوى الغضبية السبعية تسعى ابداً في ايصال الشر والبلاء والايذاء الى سائر الناس اشار سبحانه الى تهذيبها بنهيه تعالى عن المنكر اذ لا شك ان الناس ينكرون تلك الحالة فالمنكر عبارة عن الافراط الحاصل في آثار القوة الغضبية ولما كانت الثالثة أعنى القوة الوهمية الشيطانية تسعى ابداً للاستعلاء على الناس والترفع عليهم واظهار الرياسة والتقدم أشار سبحانه الى تهذيبها بالنهى عن البغى اذ لا معنى له الا التطاول والترفع على الناس

لكل ما تقدم كان القرآن معجزاً عند أهل الكلام وغيرهم اما أرباب هذا الفنّ فانهم متى رجعوا الى عقولهم وحكموها فيما حصل بينهم أيقنوا بصدقه عليه الصلاة والسلام واما غيرهم فانهم اذا تبصروا في حالة هؤلاء الذين آمنوا بمحمد ﷺ وادركوا انه لم يكن ايمانا كراهية بل بعد تدبُّر وتعقل مع تمسكهم بدينهم ودين آبائهم حصل عندهم يقين بأن محمدا ﷺ صادق فيما يقول ومحق فيما يدعي فيكون القرآن بذلك المعجزة الخالدة التي لا تفنى كما فنى غيرها من المعجزات وقد حصلت على يد سيدنا محمد ﷺ معجزات أخر أوصلها الامام النَّووى الى ألف ومائتى معجزة ثابتة بالبراهين القاطعة والادلة الساطعة من التواتر المفيد لليقين وسنذكر لك منها طرفا بسيطاً لتطمئن نفسك ويرتاح ضميرك وتقرَّ عينك بما جرى من المعجزات على يد نبيك ﷺ فمنها انشقاق القمر له ﷺ . فقد روى ان المشركين طلبوا منه ذلك فانشق القمر نصفين نصفه على الجبل ونصفه دونه رأى ذلك أهل مكة مسلمون

ومشركون وحضر من الآفاق اناس فاخبروا انهم شاهدوا انشقاق القمر في تلك الليلة وكان هؤلاء في أفق مساو لأفق مكة واما من كان أفقه غير مساو لافق مكة فلم يروه قال تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يُعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمرٌ . وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امرمستقر » ومنها نبع الماء من بين اصابعه الشريفة فقد روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رأيت رسول الله ﷺ وقد حانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فوضع رسول الله ﷺ يده في اناء كان فيه قليل ماء وأمر الناس ان يتوضئوا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه ﷺ فتوضئوا من عند آخرهم روى ذلك البخارى وروى أيضاً عن جابر رضي الله عنه « قال عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ فجهش الناس نحوه فقال مالكم قالوا ليس عندنا ماء نتوضأ منه ولا نشرب الا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا قلت كم كنتم قالوا لو كنا مائة الف كفانا قلت خمس عشرة مائة » ومنها تكثير الطعام ببركته عليه الصلاة والسلام ففي صحيح البخاري « عن جابر رضى الله عنه ان أباه توفي وعليه دين فأتيت النبي ﷺ فقلت ان أبي ترك عليه ديناً وليس عندي الا ما يخرج نخله ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه فانطلق معي لكي لا يفحش عليَّ الغرماء فمشي حول بيدر من بيادر التمر فدعا ثم آخر ثم جلس عليه فقال انزعوه فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم » وعن أبي أيوب الانصاري « انه صنع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر رضى الله عنه من الطعام ما يكفيهما فقال النبي ﷺ أدع ثلاثين من أشراف الانصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوا ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتي تركوا فما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع قال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا » .

ومنها حنين الجذع فقد روى عن جابر بن عبد الله « ان النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة الى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الانصار أو رجل يارسول الله ألا نجعل لك منبراً قال ان شئتم فجعلوا له منبراً فلما كان يوم الجمعة دفع الى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي ﷺ فضمه اليه تئن أنين الصبي الذي يُسكن قال كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها » .

ومنها كلام الطفل « فقد روى عن مُعرِّض بن مُعيقب قال رأيت من النبي ﷺ عجباً حين اتى بصبي يوم ولد قال من انا فقال الطفل (رسول الله) فقال النبي ﷺ صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة » . ومنها ردّ عين أحد أصحابه فقد روى « أصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فردّها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه » وهذا نزر من نهر من معجزاته الناطقة وآياته الصادقة ، فصلى الله عليه وعلى آله وصحابته ومن تبعه باحسان الى يوم الدين .

الارهاص

الى هنا علمنا أنّ الامر الخارق للعادة اذا ظهر على يد مدّعي النبوّة سمّى معجزة كما هو موضح في معجزات الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أما اذا ظهرت هذه الخوارق على يد من سيكون نبياً أو رسولا قبل دعواه ذلك فتسمّى هذه الامور الخارقة للعادة ارهاصاً أي تأسيساً للنبوة أو الرسالة مثال ذلك ما كان يحصل على يد سيدنا محمد ﷺ قبل اعلانه النبوة من تظليل الغمام له في مسيره

الكرامة

أما اذا ظهرت هذه الخوارق على يد من كان متابعاً للشريعة الغرّاء من

أداء الصلوات بشروطها وأركانها وأداء الصوم والزكاة والحج ومتنحيا عن المنهيات كالزنا وشرب الخمر والقتل والنهب والسلب لاموال الناس بالباطل والكبر والحسد والغيبة والنميمة والتعالى على الخلائق واحتقارهم واهانتهم بشرط أن يكون متعلما من أمور دينه ما يصحح به عبادته وعقيدته كانت هذه الخوارق في عرف الشرع كرامة أكرم الله بها أولياءه رضى الله عنهم والاولياء هم الذين آمنوا بربهم ووقفوا عند حدوده من أداء الواجبات وترك المنهيات قال تعالى « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون »

المعونة

أما اذا ظهرت هذه الخوارق على يد شخص مستور الحال فلم يظهر للناس حاله لا بالصلاح ولا بالفسق ولم يكن متعلماً من الامور الشرعية ما يحتاجه فتسمى هذه الخارقة في عرف الشرع معونة اعانه الله سبحانه وتعالى بها

الاستدراج

أمّا اذا ظهرت أمثال هذه الخوارق على يد شخص فاسق تارك للصلوات أو بعضها وليس متقياً للحرمات من الجلوس مع الفسّاق ومجاراتهم فيما يفعلون فيشرب الخمر مع الشاربين وينظر المحرمات كالرقص والغناء من الاجنبيات واستلاب الاموال بغير الحقّ واستعمال الشعوذة والنصب والحيل ليظهر أنه من الاولياء وهو منهم بعيد ومن مجلسهم طريد كما هو حاصل من كثير من الناس في هذا الزمان الذي لا يفرق فيه بين الحق والباطل والخطأ والصواب وجهل العامة التفرقة بين حال هذا الفاسق المخادع الدّجّال وبين حالة الاولياء ربما ظنوا أن هذا الشخص منهم أو أنه من رؤسائهم فتسمى هذه الخارقة استدراجاً

بمعنى أن الله استدرج هؤلاء باظهار هذه الخوارق على أيديهم ليتمادوا في ضلالهم وفسقهم حتى اذا أخذهم لم يفلتهم لقول النبي ﷺ (ان الله لَيُمْلي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته)

وأمثال هؤلاء الفسقة قد كثروا في زماننا هذا ووجدوا لهم مراحاً يرتعون فيه من جهل الناس أمور دينهم والتفرقة بين فسق هؤلاء وسير غيرهم من الصالحين ولو أن الناس نظروا نظرة صادقة في أحوال هؤلاء وعاملوهم قليلا من الزمن لادركوا حالهم وعلموا فسقهم وحيلهم كفانا الله شر ذلك وعلمنا أمور الدين الحنيف

الخذلان

وكلّ هذه الخوارق السابقة تسمّى بأسمائها المذكورة اذا ظهرت على وَفْقِ ارادة من أجريت على يديه أمّا اذا كانت مناقضةً لمقصوده ومضادّةً لمدّعاه فيسميها الشرع خذلاناً أي أنّ الله تعالى خذل أصحابها وأهانهم كما حصل أنّ مسيلمة الكذاب ظهر في زمن نبينا ﷺ وادّعى النبوّة فقيل له اظهر معجزة تشهد بصدقك فجيء له بأعور فبصق في عينه العوراء فعميت السّليمة وقيل له مرة ان هذه البئر ماؤها قليل فكثره لنا فبصق فيها فغاض ماؤها ويبست عن آخرها

ما يجب فى حق الانبياء والرسل

وما يستحيل وما يجوز من الصفات

هؤلاء الرسل والأنبياء المتقدمة لك أوصافهم وما أيدهم الله به يجب أن يكونوا ممتازين عن غيرهم لانهم قواد الناس الى الخيرات ويجب لهم من الصفات الصدق والامانة والتبليغ والفطانة . . .

الصدق

هو مطابقة الخبر للواقع والرسل والانبياء قد اختارهم الله تعالى ليكونوا نواباً عنه في تبليغ ما يريد تبليغه للخلق فلا بدَّ أن يكونوا متَّصفين بفضيلة الصدق فيما يقولون . . .

فلو فرض كذبهم في أقوالهم وفيما يبلّغون للخلق للزم الكذب في خبره تبارك وتعالى، ولزوم الكذب في خبره محال ولانهم لو اتصفوا بالكذب لكنا مأمورين بالكذب مثلهم فان الله تعالى أمرنا بالاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم وكوننا مأمورين بالكذب باطل فبطل ما أدى اليه وهو كذبهم عليهم الصلاة والسلام قال تعالى « وصدق الله ورسوله » وقال « وصدق المرسلون » ومتى ثبت في حقهم الصدق فقد استحال عليهم الكذب عليهم الصلاة والسلام

الأمانة

هي العصمة بحفظ ظواهرهم و بواطنهم من أن يتلبسوا بمعصية ما ويستحيل عليهم الخيانة فهم محفوظون ظاهراً من الزنا وشرب الخمر ومخالفة الشريعة في كثير أو قليل ومحفوظون باطناً من الحسد و الكبر و الرياء وكل ماهو نقص من اضمار الشرور لخلق الله تعالى . كيف يكونون نوابا عن الله ويتصفون بما هو نقص في سواهم و كيف يتصفون بالنقص وهم أعلا طبقات الأمم وأرقاها من جميع الجهات لأنهم أكرم خلق الله وأتقاهم وأعرفهم بالله وأشدهم خوفا منه حيث اصطفاهم و اختارهم دون غيرهم وقد أطلق الله الاقتداء بهم فلو كانوا خونة لكننا مأمورين باتباعهم في الخيانة وفي كل ما يفعلون وكوننا مأمورين بذلك باطل لحصول التناقض فلزم أن يكونوا امناء قال تعالى على لسان نبيه « اني لكم رسول أمين » وقال « ان الله لا يحب الخائنين » وقد علمت أنهم محبوبون لله لاختيارهم قواداً لسواهم

التبليغ

هو أن يخبر الرسل الخلق بكل ما أمرهم الله باخباره لهم فلا يكتمون مما أمروا بتبليغه شيئاً ويستحيل عليهم الكتمان فانهم لو لم يبلغوا ما أمروا به لكانوا خونة وكونهم خونة باطل مما تقدم ولا يمكن أن تتصور أنهم السفراء بين الحق والخلق ويكتمون عنهم شيئاً مما هو وظيفتهم قال تعالى « ياأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » وقال « الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولايخشون احداً الا الله وكفى بالله حسيبا » فثبت بذلك أنهم مبلغون لكل ما أمروا بتبليغه واستحال عليهم كتمان شيء من ذلك

الفطانه

هي التيقظ والانتباه في حقهم عليهم الصلاة والسلام ويستحيل عليهم ضدها وهي البلادة والغفلة وذلك لأنهم مبلغون للخلق عن الله فوجب أن يكونوا أعلى منهم ادراكا ومقدرة على اقامة الحجة والبرهان فلو لم يكونوا كذلك لما قدروا على اقامة الحجة على خصومهم وأبطال دعاويهم ورد شبهاتهم وذلك باطل . فكيف يكونون نوابا عن الله ولا يستطيعون اقامة الحجة على المبطلين والملحدين قال تعالى « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء » وقال تعالى لنبيه ﷺ « وجادلهم بالتي هي أحسن » ولو لم يكن فطناً متيقظاً لما أمكنه القيام بما أمر به

الجائز فى حقهم عليهم الصلاة والسلام

هي الاعراض البشرية التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية مثل الاكل والشرب والمشي في الاسواق والتزوج بالنساء والجوع والفقر والامراض التي

لا تنفر الناس منهم اما ما ينفر الناس منهم فمستحيل في حقهم كالعمى والبرص والجذام . وأما مايحكي عن ابتلاء أيوب أو عمى شعيب أو يعقوب فانه مبالغ فيه وبعيد عن الصواب . والدليل على اتصافهم بهذه الاوصاف مشاهدتها عليهم قال تعالى « وما أرسلنا من قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق » فهؤلاء الرسل والانبياء الذين ثبتت لك أوصافهم وعلمت لك أحوالهم واجب على كل مكلف الايمان بهم اجمالا فيجب الايمان بكل نبي أورسول أرسل من قبل الله تعالى من غير تفصيل لانهم لا يعلم عدد قال تعالى لمحمد ﷺ « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » لكن يجب الايمان تفصيلا بالرُّسل الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم وهم خمسة وعشرون : محمد . ابراهيم. نوح . عيسى . موسى . آدم . ادريس . هود. يونس إلياس . الْيَسَع . داود . اسحاق . لوط . ذو الكفل . يحيى . زكريا . شعيب . صالح . أيوب . هارون . يوسف . يعقوب . سليمان . اسماعيل . وقد ذكر منهم في آية واحدة ثمانية عشر . قال تعالى « وتلك حجّتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربّك حكيم عليم ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلاًّ هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريّا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليَسَع ويونس ولوطاً وكلاًّ فضّلنا على العالمين » وبقي منهم سبعة وهم : إدريس . هود . شعيب . صالح . ذو الكفل . آدم . محمد قال الشاعر :

في تلك حجّتنا منهم ثمانية ... من بعد عشر ويبقي سبعة وهمو
ادريس هود شعيب صالح وكذا ... ذوالكفل آدم بالمختار قد ختموا

وقال غيره :

أسماء رسْل الله في القرآن ... خمس وعشرون نخذ بياني

هم آدم ادريس نوح هود يونس الياس اليَسَع داود
اسحاق ابراهيم لوط موسى ذو الكفل يحيى زكريا عيسى
ثم شعيب صالح أيوب هارون ثم يوسف يعقوب
ثم سليمان واسماعيل محمد ختمهم الجليل

ومن هؤلاء الرسل الكرام أصحاب العزم المفضلون على بقيتهم وهم خمسة سيدنا محمد ﷺ ونوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقد ذكرهم الله تعالى قائلا (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى) وقد ذكرهم الشاعر قائلا :

محمد ابراهيم موسى كليمه ونوح وعيسى هم أولو العزم فاعلم

زيارة الانبياء والاولياء والتوسل بهم

اذا أراد الشخص زيارة مقابر المسلمين فالغرض من زيارته اما الاستشفاع والتبرك بآثارهم والتوسل بهم الى الله تعالى ليجلب له نفعاً ويدفع عنه ضراً أو يلطف به في مقدور واما الاعتبار بحالهم التى تبدلت من طور الى طور ومن حال الى حال تمكيناً للقلوب من الخشوع ونيلا للأجر والثواب بدعوة صالحة لهم أو قراءة آية كريمة تهدى اليهم واتعاظا بحال من مضى من قرابته وأحبته الذين اغتالتهم يد المنون وسكنوا القبور بعد القصور وعلى كلا هذين الحالين فالزيارة مطلوبة مرغب فيها يروى عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه « عن النبى ﷺ قال اني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان فيها عبرة » وعن ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ « قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد اذن لمحمد ﷺ في زيارة قبر أمه فزوروها فانها تذكر الآخرة »

عدم زيارة القبور للنساء

وهذا الاذن بالزيارة انما هو خاص بالرجال دون النساء قال الامام الحافظ رضي الله عنه قال « كان النبي ﷺ نهى عن زيارة القبور نهياً عاما الرجال والنساء ثم أذن للرجال في زيارتها واستمر النهي في حق النساء » لما روى عن علي رضى الله عنه وكرم الله وجهه قال « خرج رسول الله ﷺ فاذا نسوة جلوس قال ما يجلسكن قلنَ ننتظر الجنازة قال تغسلن قلن لا قال هل تحملن قلن لا قال هل تدلين فيمن يدلي قلن لا قال فارجعن مأزورات غير مأجورات » فهذه الآثار والاحاديث تدل على طلب زيارة القبور من الرجال دون النساء وإذا كانت قبور عامة المسلمين تطلب زيارتها فيكون بالاحرى طلب زيارة قبور الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين وعباد الله المكرمين

التوسل بالانبياء والاولياء

اما التوسل بالانبياء والمرسلين والعلماء والاولياء المقربين فهو جائز شرعا متى علمنا أن الله تبارك وتعالى أكرم هؤلاء الخلق عنده وأنه اذا توسل بهم العبد فانما يطلب من الله تعالى مايريد لامنهم وأنهم وسائل وأسباب لنيل المقصود من الواحد المعبود قال الله تعالى (يأيها الذين أمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) فسرها حبر الأمة وامامها ابن عباس رضي الله عنهما بأنه كل مايتقرب به الى الله تعالى وقال تعالى (ولو أنهم اذظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما) فالتوسل

بهؤلاء الاطهار لايختص بحال الحياة الدنيوية بل المصطفون الاخيار احياء في الحضرة القدسية . وهذه الآية الشريفة وان كانت نصا في صحة التوسل بالنبي ﷺ فلا مانع من شمولها للأولياء رضي الله عنهم لا سيما اذا لوحظ أن كرامة الولي معجزة للنبي ﷺ روى ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا اليك فاني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت أقبل الله عليه واستغفرت له الملائكة» . وقد روى الطبراني عن زيد بن عقبة بن غدوان أن النبي ﷺ قال «اذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني فان لله عباداً لا يراهم» وذكر الامام الألوسي في تفسير قوله تعالى «وكانوا من قبل يَسْتَفْتِحونَ على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به» انها نزلت في بني قريظة والنَّضير كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل بعثته كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والمعنى يطلبون من الله تعالى أن ينصرهم به على المشركين كما روى السدّي أنهم كانوا اذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين أخرجوا التّوراة ووضعوا أيديهم على موضع ذكر النبي ﷺ وقالوا اللهم انا نسألك بحق نبيك الذي وعدتنا أن تبعثه في آخر الزمان أن تنصرنا اليوم على عدوّنا ، فينصرون . فكل ما تقدّم من الآيات والاحاديث تدلّ على جواز التوسل بالانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين وعباد الله المقربين مع اعتقادنا بأن الكلّ لملك الملوك عبيد وان الله تعالى فعّال لما يريد . والآداب المطلوبة منك اذا أردت زيارة قبور المسلمين والاولياء والصالحين أن تدخل الحجرة

بأدب واحترام وكأنك تشاهد من تزوره ينظر اليك في حال الحيـاة وتقف متوجهاً اليه قبالة رأسه مستدبراً القبلة ثم ترد عليه السلام قائلا السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون ونحن ان شاء الله تعالى اللاحقون، ثم تتلو شيئاً من القرآن الكريم مثل يس أو قراءة قل هو الله أحد احدى عشرة مرة بعد آية الكرسي ثم المعوذتين والفاتحة وتهبُ ثواب ذلك لحضرة صاحب المقام ثم تتوجه الى القبلة وتدعو الله تعالى في قضاء حاجتك ببركة هـذا الولي أو العالم أو الصالح ان شئت وتنصرف بالاحترام والاجلال معتقداً أن الله تعالى سيَقْضي لك حاجتك

الباب الثالث

فى السمعيات

السمعيات هي الامور التي لا يستطيع العقل الاستقلال بمعرفتها بل يكون سبيل ذلك السماع من الكتاب الكريم والسنة الصحيحة المطهرة

قد سبق أنه يجب الايمان بكل ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قد ثبتت رسالته بالادلة القطعية ومن جملة ما جاء به صلى الله عليه وسلم . . .

العرش

هو جسم عظيم نورانيّ علوي محيط بجميع العوالم يحمله في الدنيا أربعة من الملائكة العظام ويحمله في الدار الآخرة ثمانية منهم رءوسهم عند العرش في السماء السابعة وأقدامهم في الارض السفلى، ويقال ان قرونهم كقرون بقر الوحش ما بين أصل قرن أحدهم الى منتهاه خمسمائة عام ويجب أن نمسك عن

القطع بتعيين حقيقته لعدم معرفتها قال تعالى « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » أي يوم القيامة . وخلق العرش لم يكن لاحتياج منه تعالى اليه وانما ذلك لحكمة هو أدرى بها سبحانه وتعالى

الكرسى

هو جسم عظيم علوي نوراني تحت العرش وملتصق به وفوق السماء السابعة بينه وبين السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام ويروى عن أبي موسى رضى الله عنه (انه لؤلؤة) وقال علي ومقاتل رضى الله عنهما (ان كل قائمة من قوائم الكرسى طولها مثل السماوات السبع والارضين السبع » ويجب علينا أيضاً الامساك عن القطع بتعيين حقيقته ولم يخلقه الله تعالى لاحتياج للجلوس عليه بل يخلق ما يشاء

اللوح

هو جسم عظيم علوي نوراني كتب فيه القلم باذن الله ما كان وما يكون الى يوم القيامة ولقد اختلف في الكتابة فيه الآن فالقائلون بها يقولون انه يقبل المحو والاثبات والنافون ينكرون ذلك والحق مع الفريق الاول . قال تعالى « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » ويجب علينا أن نمسك عن القطع بتعيين حقيقته لعدم العلم بها . ولا تتوهم أن الله محتاج الى ضبط ما كان وما يكون حتى خلق هذا اللوح بل هو الغني عن ذلك

القلم

هو جسم عظيم علوي نوراني خلقه الله تعالى وأمره أن يكتب في اللوح ما كان وما يكون الى يوم القيامة ولقد اختلف في كتابته الآن والحق ما قيل

في اللوح ولا تظنّ أنه محتاج للاستذكار حتى خلقه بل هو الغنيّ عن عباده بل خلقه وأخبرنا به لنعلم أن كل أعمالنا محصورة ويجب أن نمسِكَ عن القطع بتعيين حقيقته لعدم العلم بها

الملائكة

ومما يجب الايمان به اجمالا وتفصيلا الملائكة وهم أجسام لطيفة نورانية قادرون على التشكل بأشكال مختلفة كاملون في العلم والقدرة على الاعمال الشاقة ، فالواحد منهم ان يقتلع الارض من جذورها متى أمره الله بذلك لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتناكحون لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة فمنْ وَصَفَهْم بالذكورة كان فاسقاً ومن وصفهم بالانوثة كان كافرا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون قال تعالى « جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مَثْنىَ وثلاث ورباع » وقال تعالى « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً » وقال تعالى يسبحون الليل والنهار لاَ يَفْتُرُون » وقال « وهم من خشية الله مشفقون » وروى البخارى ان رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح، وروت عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « خلقت الملائكة من نور » وقال الطبرى مرفوعا الى النبى ﷺ « مافي السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف الا وفيه ملك قائم أوراكع أو ساجد » فيجب الايمان اجمالا بأن لله ملائكة مكرمين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ويجب ان نعرف منهم بالتفصيل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ومنكر ونكير ورقيب وعتيد ومالك ورضوان وحملة العرش اما جبريل فهو أمين الوحي واما ميكائيل فهو الموكل بأرزاق العالم وأقواتهم واما اسرافيل فهو الموكل بالنفخ في الصور وأما عزرائيل فهو الموكل بقبض الارواح وأما منكر ونكير فهما موكلان بسؤال

الميت في القبر واما رقيب وعتيد فموكلان بكتابة ما يصدر من العبد ، واما مالك فخازن النار واما رضوان فخازن الجنان فاذا انكر أحد وجودهم أو واحداً منهم فهو كافر

الحفظة من الملائكة

ومما يجب اعتقاده ان على كل مكلف حفظة من الملائكة يكتبون عليه كل ما يصدر منه خيراً كان أو شراً قولا كان أو فعلا حتى الانين في المرض وحتى المباح وسواء كان الذي يصدر من عمل الجوارح أو عمل القلوب وقد جعل الله لهم علامة لعمل القلب فاذاهمّ العبد بفعل حسنة خرجت منه رائحة طيبة واذاهم بسيئة خرجت منه رائحة خبيثة وقد سُئلَ سفيان الثورى رضى الله عنه كيف تعلم الملائكة ان العبد همّ بحسنة أو سيئة فقال اذا همّ بحسنة وجدوا ريح المسك واذا هم بسيئة وجدوا ريح النتن وعلى كل عبد ملكان أحدهما يكتب الحسنات ويسمى رقيباً والآخر يكتب السيئات ويسمى عتيداً ومن رحمة الله تعالى على عباده انْ جعل صاحب الحسنات أميراً على صاحب السيئات فلا يكتب سيئة الا باذنه بعد مضي ست ساعات فان تاب كتب له صاحب الحسنات حسنة واحدة والا قال لصاحب السيئات اكتب اراحنا الله منه . وهذان الملكان لا يفارقان المكلف الا في حالتي الجماع وقضاء الحاجة فاذا مات المكلف مكث ملكاه على قبره فان كان مؤمناً استغفرا له الى يوم القيامة وان كان كافرا لعناه كذلك . وفائدة هذه الكتابة ان العبد اذا علم ان عليه حفظة يكتبون ما يصدر منه ربما انزجر حياء منهما ولا يكون للعبد حجة حتى لا ينكر يوم القيامة ماصدر منه قال تعالى « وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون » وقال تعالى « عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » وقال أيضاً « وهو

القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة » ومنهم موكاون بحفظ البشر من الجن والعاهات والآفات تكريماً لبني آدم قال تعالى « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » أي من ضرر خلقه الجنّ والانس فاذا جاء القدر تخلوا عنه.

الكتب السماوية

ومما يجب الايمان به أنّ الله تعالى كتباً أنزلها على رسله عليهم الصلاة والسلام بين فيها أو امره ونواهيه ووعده ووعيده وعقابه وثوابه الى الامم لكن يجب أن نعتقد بانزال الكتب الأربعة هي التوراة والانجيل والزبور والفرقان اما التوراة فهي التي أنزلها الله على نبيه موسى عليه السلام واما الانجيل فهو الذى انزله الله تعالى على نبيه عيسى عليه السلام. وأما الزبور فهو الذي انزله على نبيه داود عليه السلام. واما القرآن فهو الذي أنزله الله تعالى على نبينا محمد ﷺ وهو مشتمل على جميع ما اشتملت عليه الكتب السماوية للانبياء السابقين وانه ناسخ لها جميعاً ففيه كل المنافع دينية أو دنيوية فمن عمل به فقد فاز بالسعادتين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة

الجن

ومما يجب الايمان به انّ نوعاً من المخلوقات يسمّى جنّاً وهم أجسام لطيفة هوائية تتشكلُ بأشكال مختلفة قادرة على الاعمال الشاقة قال تعالى « قل أوحى اليّ انه استمع نفر من الجنّ فقالوا انا سمعنا قرآنا عجباً يهدى الى الرُّشد فآمنا به ولن نشرك بربّنا أحدا » وقال « وخلق الجان من مارج من نار » وقال « يامعشر الجنّ والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار

السموات والأرض فانفذوا » وقال « واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن » ومن هؤلاء الجنّ المؤمن والكافر والطائع والعاصى كما هو الحال فى الآدميين.

الشياطين

أما الشّياطين فهم أجسام ناريّة شأنهم الشر والاغواء والقاء الناس في الفساد بتذكيرهم أسباب المعاصى واللذات.

استراق السمع

كان الشياطين لايُحجبون عن السموات السّبع يرتقون ويستمعون أمر الله للملائكة فينزلون ويخبرون الكهانَ بما سيكون فيكذب الكاهن مع الكلمة الواحدة مائة كذبة ، فلما ولدعيسى عليه السلام منعهم الله من ثلاث سماوات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعهم من كل السموات بالشهب وهى النجوم قال تعالى « ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيّناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السّمع فاتبعه شهاب مبين » وقال حكاية عنهم « وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما (انّهم كانوا لايحجبون عن السموات فلما ولدعيسى عليه السلام مُنِعوا عن ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشُّهب) فيجب الايمان بأنه ببركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منعت الشّياطين من الارتفاع الى السّموات السبع لئلا يسترقوا منها خبرا من الاخبار.

الموت

هو انقطاع تعلّق الرّوح بالبدن وتبدُّل حالٍ بحال أخرى وهو ينزل بكل ذى روح لقوله تعالى « كلُّ نفس ذائقة الموت » وقوله مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم « انك

ميّتٌ وانّهم ميّتون » وقوله « قل انّ الموت الذي تفرُّون منه فانه ملاقيكم ثم تردُّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكُمْ بما كنتم تعملون » ولقوله « كل شيء هالك الا وجهه » وقوله « أينما تكونوا يُدركّكم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » وكثير من الآيات . والذي يتولى قبض الأرواح انما هو سيدنا عزرائيل عليه السلام ومعنى عزرائيل بالعربية عبد الجبار وهو ملك عظيم الخلقة هائل المنظر مفزعٌ واضعٌ رأسه في السماء العليا ورجلاه في الارض السفلى ووجهه مقابل اللّوح المحفوظ وجميع الخلق بين عينيه وله أعوان بعدد من يموت يترفّق بالمؤمنين ويأتيهم بصُورَةٍ حسنة ويقابلهم بما يستحقُّون من الملاطفة والملاينة دون غيرهم من الكفار والمنافقين والمنهمكين فى المعاصي فانه يأتيهم بحالة تقشعرُّ منه أبدانهم وتشيبُ منه رؤوسهم ؛ يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما (ان رسول الله ﷺ قال : الامراض والاوجاع كلها بريد الموت ورسله فانه اذا حان الاجل أتى ملك الموت بنفسه يقف عند العبد مخاطباً له وقائلا كم خبراً بعد خبر وكم رسولا بعد رسول وكم بريدا بعد بريد أنا الخبر الذي ليس بعدي خبر وأنا الرسول الذى ليس بعدى رسول أجبْ ربك طائعاً أو مكرهاً) وقد قيل بأن الدنيا تكون بين يدي ملك الموت كالقصعة بين يدي آكلها يأكل من أي الجهات شاء ولذلك قابلَ جبريل عليه السلام ملك الموت بنهر فارس فقال له يا ملك الموت كيف تستطيع قبض الأنفس عند الوباء كهنا عشرة آلاف وهنا كذلك وهناك كذلك فأجابه ملك الموت قائلا تزوى لي الأرض حتى كأنهم بين فخذى فألتقطهم بيدي وملك الموت لا يقبض أيّ روح من الأرواح الا باذن الله تعالى . قال في كتابه العزيز « قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكِّل بكم » وقد روي الطّبرانيُّ عن ملك الموت قال (والله لو أردت قبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الذي يأذن بقبضها) وينبغي أن يتذكر العبد الموت دائماً فانه

يزهّد في الدنيا وينبّه القلوب الى عمل الخير وقد ورد في الحديث الشريف (أكثروا من ذكر الموت فانه يمحّص الذنوب ويزهّد في الدنيا) وقد سئل رسول الله « من أكيس (أعقل) الناس قال أكثرهم للموت ذكراً وأشدهم له استعداداً أولئك الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة »

فمالك ليس يعمل فيك وعظٌ ولا زجرٌ كأنك من جماد
ستندم ان رحلت بغير زاد وتشقى اذ يناديك المنادي
ولا تأمن لذي الدنيا صلاحاً فان صلاحها عين الفساد
ولا تفرح بمال تقتنيه فانك فيه معكوس المراد
وتب مما جنيت وأنت حيٌ وكن متنبهاً قبل الرقاد
أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

قال شيخنا وقدوتنا القطب الرباني الشيخ محمد أمين الكردي في كتابه تنوير القلوب : وفي الخبر اذا فارق الروح البدن نودي من السماء بثلاث صيحات يا بن آدم أتركت الدنيا أم الدنيا تركتك ؟ أجمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك أقتلت الدنيا أم الدنيا قتلتك ؟ واذا وضع على المغتسل نودي من السماء بثلاث صيحات يا بن آدم اين بدنك القوي ما أضعفك وأين لسانك الفصيح ما أسكتك وأين أذنك السماعة ما أصمك وأين أحباؤك الخلاص ما أوحشك اذا وضع في الكفن نودي من السماء بثلاث صيحات يابن آدم طوبى لك ان صحبك رضوان الله والويل لك ان صحبك سخط الله يا بن آدم طوبى لك ان كان مأواك الجنان والويل لك ان كان مأواك النيران . يا ابن آدم تذهب الى سفر بعيد بغير زاد وتخرج من منزلك فلا ترجع اليه أبد الآباد وتصير الى بيت الاهوال واذا حمل على الجنازة نودي بثلاث صيحات يا بن آدم طوبى لك ان كان عملك خيراً وطوبى لك ان كنت تائباً وطوبى لك ان كنت مطيعاً

لله واذا وضع للصلاة نودي من السماء بثلاث صيحات يابن آدم كل عمل عملته تراه الساعة فان كان عملك خيراً تراه خيراً وان كان شراً تراه شراً . واذا وضعت الجنازة على شفير القبر نودي بثلاث صيحات يابن آدم ما تزودت من العمران لهذا الخراب وما حملت من الغنى لهذا الفقر وما حملت من النور لهذه الظلمة واذا وضع في اللحد نودى بثلاث صيحات يا بن آدم كنت على ظهري ضاحكا وصرت في بطني باكياً كنت على ظهرى فرحاً وصرت في بطني حزيناً كنت على ظهري ناطقا فصرت في بطني ساكتا . واذا ادبر الناس عنه يقول الله تعالى ياعبدي بقيت فريداً وحيداً وتركوك في ظلمة القبر وقد عصيتنى لأجلهم وانا أرحمك اليوم رحمة يتعجب منها الناس وأنا أشفق عليك من الوالدة بولدها فواجب على كل مكلف أن يقرأ هذه المخاطبات ويمعن النظر فيها ويعد الجواب عليها حتى يتدارك نفسه قبل الفوات ويهيء لنفسه الخلاص قبل الممات ويروى ان علياً رضي الله عنه دخل مقابر المدينة ونادى يا أهل القبور السلام عليكم ورحمة الله تخبرونا باخباركم أم نخبركم فسمع صوتاً يقول عليكم السلام ورحمة الله وبركاته اخبرنا بما كان بعدنا فقال على اما ازواجكم فقد تزوجت واما أموالكم فقد قسمت واما الاولاد فقد حشروا في زمرة اليتامى واما البناء الذي شيدتم فقد سكنه أعداؤكم فهذه أخبار ما عندنا فما اخبار ما عندكم فأجابه ميتٌ قد تخرقت الاكفان وانتشرت الشعور وتقطعت الجلود وسالت الاحداق على الخدود وسالت المناخير بالقيح والصديد فما قدمناه وجدناه ، وما خلفناه خسرناه ونحن مرتهنون بالاعمال وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى أتيت المقابر يوماً لانظر في الموتى واعتبر وأتفكر فيها وانزجر فانشدت أقول :

اتيت المقابر ناديتها فأين المعظم والمفتخر

وأين المدل بسلطانه وأين العزيز اذا ما قدر
وأين الملبي اذا ما دعا وأين المزكى اذا ماحضر

فقال فاذا بصوت يجيبني :

تفانوا جميعاً فلا مخبر وماتوا جميعا وهذا الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى وتمحو محاسن تلك الصور
وقد قلد القوم أعمالهم فاما نعيم واما سقر
وصاروا الى ملك قادر عزيز مطاع اذا ما أمر
فيا سائلي عن اناس مضوا فمالك في من مضى معتبر

قال مالك رضي الله عنه فنظرت فاذا ببهلول المجنون قاعدا بين القبور وهو ينظر الى السماء فيبتهل والى الأرض فيعتبر وعن يمينه فيضحك وعن يساره فيبكي . فقلت السلام عليك يابهلول فقال وعليك السلام يامالك بن دينار فقلت له أراك قاعدا بين القبور ؟ قال قعدت عند قوم لايؤذونني وان غبت عنهم لايغتابونني . فقلت أراك تنظر الى السماء فتبتهل والى الارض فتعتبر وعن يمينك فتضحك وعن يسارك فتبكي . فقال يامالك اذا نظرت الى السماء تذكرت قوله تعالى « وفي السماء رزقكم وما توعدون » فحق لمن سمع هذه الآية أن يبتهل واذا نظرت الى الارض تذكرت قوله تعالى « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » فحق لمن سمع هذه الآية أن يعتبر واذا نظرت الى اليمين تذكرت قوله تعالى « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين » فحق لمن سمع هذه الآية أن يضحك واذا نظرت الى الشمال تذكرت قوله تعالى « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم » فحق لمن سمع هذه الآية أن يبكي . وكان الامام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يجمع الفقهاء والعلماء ويتذاكرون الموت والقيامة ويبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة ومن اكثر من ذكر الموت أكرمه الله تعالى بثلاثة أشياء :

الاول تعجيل التوبة وثانياً قناعة القلب وثالثاً النشاط في العبادة ومن نسيِ الموت عوقب بثلاثة أشياء : التسويف في التوبة وعدم الرِّضا بالقليل والتكاسل في عبادة الله تعالى وفي الجامع الكبير انَّ أرواح المؤمنين يأتون كل يوم الى سماء الدنيا ويقفون بحذاء بيوتهم وينادى كل واحد بصوت حزين مراراً يا أهلي وأقاربي وولدي يامن سكنوا بيوتنا ولبسوا ثيابنا واقْتَسَموا أموالنا هل منكم من يذكرنا ويتفكرنا في غربتنا ونحن في سجن طويل وحسرة شديدة ارحمونا يرحمكم الله ولا تبخلوا علينا قبل أن تصيروا مثلنا ياعباد الله إن الفضل الذي في أيديكم كان في أيدينا وكنا لا ننفق منه في سبيل الله وحسابه ووباله علينا والمنفعة لغيرنا فان لم تنصرف بشيء فينصرفون بالحسرة والحرمان فينبغي لكل حي أن يتذكَّر موتاهُ ويتصدَّق عليهم بالأموال ويقرأ لهم القرآن ويدعو لهم بالمغفرة والرضوان حتى ترضى عليه أرواحهم وتشكر له عمله المبرور ولعلَّ من فعل ذلك رزقه الله تعالى بمن يعامله هذه المعاملة ويلطف به ويدعو له كما عمل مع غيره وكما يدين الفتى يدان

القبر

هو الحفرة التي يوضع فيها الميِّت وَيُوَارَى عليه بالتراب وهو أول منازل الآخرة وقبر كلِّ ميّت بحسبه فمن دفن في حفرة فهي قبره ومن أكله السمك وتفرق في بطونه أو أكلته السباع فهي أيضاً قبره

سؤال القبر

اذا وضع الميِّت في قبره واستقرَّ فيه يعيد الله تعالى اليه روحه ويعيد له من الحواس عقلا وعلماً بقدر ما يفهم الخطاب ويردُّ الجواب يأتي اليه منكر ونكير عليهما السلام فيقعدانه ثم يسألانه عن ربِّه وعن دينه وعن محمد ﷺ

فالمؤمن يجيب اجابة حسنة فيقولان له انظر مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً في الجنة . وأما الكافر والمنافق فلا يجيبان اجابة صحيحة ويقولان لا ندري فيضربانه بمطرقة من حديد يسمعها من يليهما الا الثقلين (الجن والانس) . يُرْوَى عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً الى النبي ﷺ قال « ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا النبي ﷺ أما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك في النار قد أبدلك الله به مقعداً في الجنة فيراهما جميعاً وأما الكافر والمنافق فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد » . ويروى عن أبي داود رضي الله عنه « فيقولان له من ربك وما دينك وما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول المؤمن الله ربي وديني الاسلام والرجل المبعوث هو رسول الله ﷺ ويقول الكافر في الثلاث لا أدري والسؤال يكون لكل ميّت بلغته على أصح الأقاويل وقال بعض أهل العلم سؤال الملكين لا يكون الا باللغة السريانية وكلمات السؤال أربع وهنّ (أترم أترح كارم صالحين) أما معنى الاولى (أترم) فقم يا عبد الله لسؤال الملكين ، ومعنى الثانية (أترح) فيم كنت ومعنى الثالثة (كارم) من ربّك وما دينك . ومعنى الرابعة (صالحين) ما هذا الرّجل الذي بعث فيكم وفي الخلق أجمعين . وقد ورد أن حفظ هذه الكلمات السريانيّة دليل على حسن الخاتمة

عذاب القبر

القبر اما روضة من رياض الجنة واما حفرة من حفر النار فصاحب القبر اما معذب واما منعم وقد ثبت عذاب القبر بالكتاب والسنة والاجماع فمن

ذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوًا و عشيا) أى في القبور بدليل قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشدَّ العذاب) وأخرج ابن ابي شيبة وابن ماجه عن أبي سعيد الخدرىّ رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعه لو أن تنيناً منها نفخ على الارض ما أنبتت خضراء) والتنين هو أكبر الثعابين وقد روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال (عذاب القبر حق) وقد مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال (ان أصحابهما يعذبان و ما يعذبان في كبير كان أحدهما لايستبرىء من بوله وكان الآخر يمشي بالنميمة) ومن جملة عذاب القبر أن يضغط على من فيه ويلتقي بحافتيه على الميت ويضمه حتى تختلف أضلاعه ولا ينجو من ذلك كبير او صغير صالح أو طالح الا الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكذلك فاطمة بنت أسد والدة الامام على كرم الله وجهه فان رسول الله ﷺ نزل قبرها و عمك في لحدها بعد أن نزع قميصه فلما خرج سئل عن ذلك فقال (أردت أن لاتمسها النار أبداً وان يوسع الله عليها قبرها) وقد أخبر بأنها نجت من ضمة القبر وضمته تختلف باختلاف العمل فالصالح يضمه قبره كما تضم الام الشفوق ولدها واما الكافر و المنافق والعاصى فالقبر يضمهم حتى تختلف أضلاعهم بعضها في بعض . وعذاب القبر اما دائم واما منقطع أما الدَّائم فهو عذاب الكفار والمنافقين و بعض العصاة واما المنقطع فعذاب مَنْ خَفَّت جرائمهم فيعذبون بحسبها و ينقطع عنهم اما بالدعاء لهم أو بالقراءة على أرواحهم أو الصدقة عليهم . وعذاب القبر يكون للروح والبدن ولا يضر تفرق أعضاء الميت فان الله قادرٌ على جمعه

نعيم القبر

وأما نعيم القبر فهو أن يوسع الله فيه بمقدار سبعين ذراعاً طولا وسبعين ذراعاً

عرضاً وان يفتح الله فيه طاقة من الجنة ويملأه بالرياحين والازهار حتى يكون روضة من رياض الجنة ويجعل الله فيه قنديلا ينوره كما ينور القمر الارض ليلة البدر ويخلق الله في الجسم حياة تدرك أثر النعيم أو العذاب وقد ورد أن الله تعالى أوحي الى موسى عليه السلام (تعلم الخير وعلمه الناس فاني منوّر لمعلم العلم ومتعلمه قبورهم حتى لا يَسْتَوْحِشُوا لمكانهم) ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً الى النبي ﷺ قال (من نور في مساجد الله تعالى نوَّر الله له في قبره)

الشهداء

ومما يجب الايمان به حياة الشهداء وَهُمُ الذين قتلوا في المعارك بين المسلمين والكفّار لاعلاء شأن الاسلام وهؤلاء الشهداء أحياء حياة حقيقية في قبورهم يأكلون ويشربون ويتمتعون ويكون تمتُّعهم بمقدار اخلاصهم فمنهم من يدخل الجنة ويتمتَّع بكلِّ ما فيها من الملاذّ ومنهم من يتمتع بأشياء دون أخرى فمن مثل ذلك أنّ رجلا صالحاً قتل في سبيل الله وبعد زمن من قَتْلِهِ اشتاقت زوجته الى رؤيته وكانت صالحة أيضاً فبينما هي في محرابها واذا بسِنةٍ من النوم أخذتها فرأت نفسها في أمكنة لم تعرفها فصارت تسأل عن مكان زوجها فوجدته جالساً مع أصحابه عند باب الجنة يأكلون من ثمارها فلما نظرها زوجها قال لأصحابه هذه رحمة والله وهي كانت تسمى بهذا الاسم فأخذ يحادثها ويلاطفها ثم استأذن من أصحابه في اعطائها شيئاً مما يأكلون فأذنوا له فأعطاها فأكلت فلما شكت له من ضيق العيش وقلة ذات اليد قال لها أمّا أنت فقد كفيت فلما استيقظت وجدت لذة الأكل ثم لم تشته بعد ذلك طعاماً أو شرابا وسألها أحد محدّثي زمنها هل تشتهين نكاحاً فعابت عليه هذا السؤال فقال لها اني محدث

أريد استيفاء الحديث من كل جهاته فأخبرته بعدم شهوتها الى ذلك فقال لها ولِمَ تبيعين وتشترين في الأسواق فقالت انما ذلك للحصول على نفقة أولادي وعن ما أكتسي به . سمعت هذه الواقعة مِنْ شيخنا وقدوتنا الاستاذ سلامة العزامي النقشبندي من أكابر علماء الازهر وقت أن كان يقرأ البخاري في الازهر وسمعت من فضيلته أيضاً أنَّ رجلا قتل في سبيل الله في أواخر خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكان أبواه أحياء ففي يوم من الايام سَمِعا قرع بابهما فخرجا فوجدا ابنهما راكباً جواداً ومتقلداً سيفاً فردَّ عليهما السلام فقالا له من أنت فأجاب أنا ابنكما فلان فقالا له أنحن في يقظة أم فى منام فقال لهما بل أنتما فى يقظة فقالا له وكيف ذلك فقال اليوم انتقَلَ الى رحمة الله تعالى أمير الشهداء عمر بن عبد العزيز فأذن الله للشُّهداء أن يحضروا جنازته فاستأذنت فى زيارتكما قبل ذلك فأذن لي . ومما يدل على حياة الشهداء قول الله تعالى « ولا تحسبنَّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون »

الروح

عرَّف بعض العلماء الروح بأنها جسم لطيف شفاف مشتبك بالاجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الاخضر والأولى هو الكف عن الخوض في حقيقة الروح كما قال ذلك ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر السلف فانها مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليها أحداً من خلقه ولذا قال الله تعالى في كتابه العزيز مخاطبا نبيه ﷺ (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) واستئثار الله تعالى بعلم الروح ليظهر عجز الانسان حتى عن نفسه التي بين جنبيه مع القطع بوجودها لكن نبينا ﷺ لم ينتقل من الدار الدنيا حتى أخبره الله تعالى بما كان وما يكون الى يوم القيامة غير أنه تعالى أمره بان يخبر ببعض

الاشياء ويكتم البعض الآخر كما أنه ﷺ أخبر أصحابه باشياء لم يخبروا بها سواهم كما روى عن ابي هريرة رضى الله عنه من حديث (وعلم لو أبثه لقطع منى هذا البلعوم) وقد يطلق الروح على الملك كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا)

الساعة

كما أن لكل شيء أجلا ينتهي اليه، كذلك لهذه الدنيا أجل تنتهي اليه، فاذا أذن الله بانقضاء هذه الدار جاءت الساعة وهي القيامة أو القارعة أو الحاقة أو غير ذلك من الاسماء. فقد سماها المولى في كتابه بأسماء كثيرة وأولها من النفخة الثانية الى استقرار الخلائق في الدارين الجنة والنار، ولا يعلم وقت مجيئها إلا الله تعالى لقوله «ان الله عنده علم الساعة» ولا بد من مجيئها وحصولها لقول الله تعالى «وان الساعة آتية لاريب فيها» ولا يكذب بها إلا كل جاحد كافر لقول الله تعالى «وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا» ولكن لوقوعها علامات صغرى وعلامات كبرى

علامات القيامة الصغرى

أما علاماتها الصغرى فكثيرة منها: بعثة نبينا ﷺ لقوله في الحديث «بعثت أنا والساعة كهاتين (اشارة باصبعيه) ان كادت لتسبقني» ومنها التطاول في البنيان، وامارة الصبيان، وكثرة الزنا وشرب الخمر، وقول الزور وكثرة الفساد والفجور. وغير ذلك

علاماتها الكبرى

أما علاماتها الكبرى فخروج الامام المهدي، وخروج الدجال، ونزول عيسى من السماء، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس

من مغربها، وخروج الدخان، وانهدام الكعبة، ورفع القرآن والعلوم، ورجوع أهل الارض كفارا

العلامة الاولى

الامام المهدي بطل عظيم الشأن من الاشراف من ولد السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ يملك الارض بعد حروب كثيرة ويكون له وزراء ويقيم العدل والقسط في الدنيا وتطمئن العباد ويكثر المال وتخرج الارض كثيرا من الارزاق ويراود الرجل أخاه في أن يعطيه مالا كثيراً فلا يقبل ذلك ولا يرى لزوما للمال وكل يستغني بما عنده

واسمه محمد بن عبد الله يرضى بخلافته جميع أهل الارض وكذا أهل السماء حتى الطيور. يروى عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «المهدي رجل من ولدي لونه لون عربي وجسمه جسم اسرائيلي على خده الايمن خال كانه كوكب دري يملأ الارض عدلا كما ملئت جوراً يرضى في خلافته أهل الارض وأهل السماء حتى الطّير في الجو» وروى الامام أحمد وأبو داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي وخُلقه خلقي».

العلامة الثانية

المسيخ الدّجال رجل عظيم الخلقة يخرجه الله تعالى آخر الزّمان ابتلاء لعباده واختباراً لهم ويقدره الله تعالى على أشياء تدهش العقول وتحير القلوب تسير معه جنّة ونار ويأمر السّماء أن تمطر فتمطر ويأمر الارض أن تخضر فتخضرّ ويأمرها أن تيبس فتيبس ويتناول السّحاب بيده ويخوض البحار

بكمبه ويقول للناس أنا ربكم مكتوب بين عينيه كافر وهو أعور عينه اليمنى فمن كتبت عليه الشقاوة صدقه فيما يقول ومن كتبت له السعادة أنكر عليه . ويطوف جميع الأرض ولا يدخل مكة والمدينة وبيت المقدس والمساجد ويكون خروجه من ناحية المشرق من قرية من قرى أصبهان على حمار له يستظل بأذن حماره خلق كثير ويمكث في الارض أربعين يوماً أول يوم كسنة وثانيها كشهر وثالثها كجمعة وباقيها كايامنا هذه . يروى في الحديث الشريف « وما لبثه في الارض يا رسول الله ؟ قال : أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا فذلك اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره » وقد ذكر العلماء لخروجه علامات كثيرة منها هبوب ريح كريح قوم عاد وتسمع صيحة عظيمة كصيحة ثمود وذلك عند ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسفك الدماء وركون العلماء الى الظلمة وترددهم على أبواب الملوك و الامراء

العلامة الثالثة

أراد اليهود قتل عيسى عليه السلام فرفعه الله تعالى الى السماء « بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما » ويكون نزوله عليه السلام على المنارة البيضاء شرقي دمشق الشام واضعاً كفيه على أجنحة ملكين وقت صلاة الصبح فيطلب الناس منه الصلاة بهم فيمتنع ويقول لهم امامكم منكم فيتقدم الامام المهدي ويصلي اماماً به وبهم إكراماً لهذه الامة ولنبيها عليه الصلاة والسلام وفي هذه الحالة يكون الدجال محاصراً أهل بيت المقدس وبابه مغلق فيقول عيسى عليه السلام افتحوا الباب فيفتحونه فيرى الدجال عيسى عليه السلام فيولى هاربا بمن معه من الناس فيخرج عيسى والمهدي في طلبه فيضيق الله عليه الارض

فيلحقه ومن معه على بضعة عشر ذراعا عند باب لد وهي قرية من الرملة فاذا نظر اليه عيسى عليه السلام يقول أقم الصلاة فيقول الدجال يانبي الله قد أقيمت فيقول له عيسى ياعدو الله انك تزعم انك رب العالمين فلم تصل فيضربه بحربة ويذبحه بسكين وبعد ذلك يصفو الجو لسيدنا عيسى ويحكم بين الناس بشريعة محمد ﷺ فيكسر الصليب ولا يقبل الجزية ويكثر في زمنه الأمن والخصب والرخاء والبركة ويمكثون على هذه الحالة أربعين سنة ويتزوج عيسى ويولد له ولدان ويموت المهدي ويصلي عليه عيسى ويدفن ببيت المقدس ثم يموت عيسى وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ٣٣ قبل الرفع وأربعون بعد نزوله ويموت بالمدينة ويدفن بجوار أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالحجرة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . روى البخارى عن سعيد قال ﷺ « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل اليكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب ويفيض المال حتى لايقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها)

العلامة الرابعة

يأجوج ومأجوج من ولد يافث بن نوح عليه السلام وهم فرق كثيرة فقسم منهم طوله مائة ذراع وقسم منهم طوله مائة وعشرون ذراعاً وعرضه مائة ذراع وقسم منهم لايزيد طوله عن شبر واحد ومن حكمة الله تعالى أن جعل الواحد منهم لايموت حتى يرى من ظهره الفاً حاملين السلاح يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش وهم قوم كان قد حبسهم ذو القرنين خلف سد وهم يحفرونه كل يوم فلما يأتي المساء يتركون منه شيئاً يسيراً ويقولون غدا نخلصه فيأتون صباحاً فيجدونه قد تكامل كما كان فيحفرونه أيضا وهكذا فلما يأتي اليوم الذي يأذن الله فيه بالخروج يقولون غداً نخلصه ان شاء الله

فينتهون منه ويخرجون للفساد بالبلاد والعباد . وعند خروجهم يوحي الله تعالى الى عيسى عليه السلام اني قد أخرجت عباداً لا يد لأحد على قتالهم فتحرز بعبادي الى الطور فينحازون الى الطور ويخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ويسرعون فيحاصرون عيسى وقومه ويأتون بيت المقدس فيقول بعضهم لبعض قد قتلنا أهل الارض فقاتلوا بنا من في السماء فيرمون بنشابهم فترجع محمرة فيقولون قد قتلناهم أيضا فيبتهل عيسى ومن معه الى الله تعالى في رفع هذا البلاء فيجيب الله دعاءهم ويرسل عليهم الدود الذى في انوف البقر والغنم فيعلق برقابهم فيصبحون موتى عن آخرهم ثم يخرج عيسى بمن معه فيجدون الارض ملئت بزهمهم وجيفهم فيرسل الله تعالى طيرا أعناقها كاعناق البخت فتحملهم وتطرحهم حيث يشاء الله تعالى رأفة بعباده

العلامة الخامسة

تخرج دابة من الارض طولها ستون ذراعا ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان ومعها عصي موسى وخاتم سليمان لايدركها طالب ولا يفوتها هارب يراها أهل كل جهة في جهتهم وتكتب بين عيني المؤمن مؤمنا فيضيء وجهه وتكتب بين عيني الكافر كافراً فيسودّ وجهه وتقول يا فلان أنت من أهل الجنة ويافلان أنت من أهل النار قال تعالى « واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم إنَّ الناس كانوا بآياتنا لايوقنون » ولقد اختلف في هذه الدابة فقيل : هي ولد ناقة صالح عليه السلام لما عقر قومه الناقة أمام فصيلها هرب فأتى حجراً فانفتح له فدخل فيه فانطبق عليه وهو فيه الى وقت خروجه ، وقيل غير ذلك . ولقد اختلف في مكان خروجها ، فقيل من

المسجد الحرام وقيل من غيره ، وسئل رسول الله ﷺ من أين مخرجها فقال « من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى »

العلامة السادسة

عقب انتقال عيسى عليه السلام الى الدار الآخرة تستأذن الشمس بعد الغروب للطلوع من المشرق كعادتها فلا يؤذن لها بذلك وتمسك عن سيرها ليلة طويلة قدر ثلاث ليال ويحصل للناس فزع من طول تلك الليلة ثم يقال لها ارجعي من حيث جئت فتخرج من المغرب وهنا يقفل باب التوبة . يروى عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ حين غربت الشمس « أتدرون أين تذهب هذه ؟ قلت لا . الله ورسوله أعلم » قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فعند ذلك يغلق باب التوبة »

العلامة السابعة

يخرج دخان يملأ جميع بقاع الارض فلا يدع بقعة إلا ملأها ولا واديا إلا اكتظ به فيخرج من عين الكافر ومن فمه ومن دبره ومن أنفه وأما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام ويمكث هذا الدخان على هذا الحال أربعين يوما

العلامة الثامنة

يقصد قوم من أهل الحبشة بيت الله الحرام فيأتونه وينقضونه حجرا حجرا

العلامة التاسعة

يرفع الله سبحانه و تعالى القرآن و العلوم النافعة للمؤمنين من صدور الناس جميعا فلا يوجد على وجه البسيطة من يحفظ القرآن عن ظهر قلب ولا يوجد عالم بعلم ينفع وارتفاع ذلك انما يكون بموت أهله ولا يُنتزع منهم انتزاعا

العلامة العاشرة

رجوع جميع من في الارض كفاراً فلا يوجد فيها من يقول لا اله إلا الله محمد رسول الله ولاتقوم الساعة الا على كافر ابن كافر لقوله ﷺ « لاتقوم الساعة الا على لكع ابن لكع »

النفخ فى الصور

الصور قرن من نور كهيئة البوق وهو عظيم كعرض السماء و الارض ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام مرتين فاذا نفخ في المرة الاولى يموت بذلك جميع الخلائق انسها وجنها علويها وسفليها الامن استثناهم الله تعالى بقوله « و نفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الارض الا من شاء الله » وهؤلاء يموتون بعد النفخ و يستمر الخلائق من هذه النفخة أمواتا أربعين سنة فيأمر الله تعالى السماء بالامطار فتمطر ماء يشبه منيّ الرجال بشدة كأفواه القِرَب ويكون الماء من فوق الناس قدر اثنى عشر ذراعا فتنبت الخلائق منه كما ينبت الزرع ثم يأمر الله تعالى اسرافيل بالنفخ في الصور ثانياً فينفخ فيه فيقوم الخلائق من قبورهم أحياء متكاملين قال تعالى « ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون »

البعث

ومما يجب الايمان به أن الله يبعث أهل القبور ومعنى بعثهم أنه يحيي المولى تبارك وتعالى الموتى ويرد لهم الروح بعد جمع أجزائهم التي من شأنها أن تبقى من أول العمر الى آخره ولو قطعت قبل الموت فيقوم كل من قبره ينفض التراب عنه قال تعالى « كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين » وقال تعالى « وان الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور » وقال « قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » وأول من يبعث هو سيدنا محمد ﷺ

الحشر

ومما يجب الايمان به أن الله تعالى يحشر الخلائق بعد قيامهم من القبور ويسوقهم الى الموقف فيوكل بكل واحد ملكا يسوقه كما قال تعالى « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » وهم شاخصون بأبصارهم كأنهم سكارى وما هم بسكارى مشتغل كل بحال نفسه ، ومع كل واحد الشهود عليه وهي أعضاؤه فيؤتي بهم الى مكان الموقف وحالتهم في الحشر متغايرة فمنهم الراكب ومنهم الماشي على رجليه ومنهم الماشي على وجهه ومنهم من يسير قليلا ثم يقع على الارض ومنهم من هو على صورة القردة وهم الزناة ومنهم من هو على صورة الخنازير وهم الذين يأكلون السحت ومنهم الاعمى وهو الجائر في أحكامه ومنهم من هو أبكم وأصم وهم المعجبون بعلمهم ومنهم من يمضغ لسانه فيسيل القيح من فمه وهم الوعاظ الذين تخالف أقوالهم أفعالهم ومنهم من هو مقطوع الايدي والأرجل وهم الذين يؤذون الجيران ومنهم من يصلب على جذوع من النار وهم السعاة بالناس الى الرؤساء ومنهم من هو أشد نتنا من الجيفة

وهم الذين يُقبلون على اللذات والشهوات ويمنعون حق الله من أموالهم ومنهم من يلبس جبة سابغة من قطران وهم الظالمون أنفسهم بالعجب والكبر والخيلاء

الموقف

ان العبـاد حينما يخرجون من قبورهم يحشرون الى أرض الموقف وهي أرض واسعة مقدسة لم يحصل عليها عصيان للمولى تبارك وتعالى وهي كالفضة النقية أعدها الله تعالى لوقوف الخلائق في ذلك الوقت « يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات ، وبرزوا لله الواحد القهار » فيقف بها الاولون والآخرون بأجسامهم التي كانت في الدنيا ، وتصطف الملائكة حولهم محدقين بهم وملائكة كل سماء تكون صفاً حولهم ويخاطبهم المولى تبارك وتعالى قائلا « يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والارض فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان » وتقرب الشمس من الرءوس مقدار ميل ويزاد في حرها سبعين ضعفا فتغلى منها الرؤس كما تغلى القدور على النار ويلجمهم العرق حتى آذانهم ويذهب فى الارض سبعين ذراعاً قال تعالى «يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» وقال تعالى « يوماً يجعل الولدان شيبا » ويزداد التزاحم في ذلك الوقت حتى يكون على كل قدم الف قدم والناس في ذلك على قدر اعمالهم ودرجاتهم في العمل من الخيرات أو الشرور فمنهم من يأخذه العرق الى كعبيه ومنهم من يأخذه الى ركبتيه ومنهم من يأخذه الى صلبه ومنهم من يأخذه الى ابطه ومنهم من يأخذه الى عنقه ومنهم من يسبح فيه ومنهم من لايصيبه شيء ولا ينجو من هذا الهول الا الانبياء والملائكة والصلحاء ويلحقهم الخوف لكن خوف اجلال واكبار لأنهم آمنون من عذاب الله ولا

يحزنهم الفزع الاكبر وهناك أقوام يظلهم الله تعالى بظل عرشه ذكرهم رسولنا ﷺ في قوله « سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لاظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه)

الشفاعة

ومما يجب الايمان به الشفاعة وهي أنواع أعظمها وأهمها الشفاعة في فصل القضاء وذلك انه حين مايقف الخلائق أولون وآخرون ويطول بهم الموقف وهم شاخصون بأبصارهم الى السماء والرءوس تغلى والعرق يسيل كما تقدم في هول الموقف يطلب الناس من يشفع لهم ليستريحوا من ذلك الكرب فيقول بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى آدم أبي البشر نسأله الشفاعة لنا عند ربنا فيأتونه عليه السلام ويقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأمر الملائكة بالسجود لك فاشفع لنا عند الله أن يصرفنا من هذا الموقف فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه كان مني أمر أوجب خوفي منه فلا جراءة لى على الشفاعة عنده نفسي نفسي اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح يشفع لكم فيذهبون الى نوح عليه السلام ويقولون له أنت الذى اصطفاك الله واستجاب لك دعاءك ولم يدع على الارض من الكافرين دياراً فاشفع لنا عند الله أن يصرفنا من هذا الموقف فيقول لهم ان ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه كان مني أمر أوجب خوفى منه فلا جراءة لى على الشفاعة عنده نفسي نفسي اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى ابراهيم فيذهبون الى ابراهيم عليه السلام ويقولون له

أنت خليل الله وصفيه فاشفع لنا عند الله ان يصرفنا من هذا الموقف فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه كان مني أمر أوجب خوفي منه فلا جرءة لي على الشفاعة عنده نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فيذهبون الى موسى عليه السلام ويقولون له أنت كليم وهو القائل لك (اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) فاشفع لنا عند الله أن يصرفنا من هذا الموقف فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه كان مني أمر أوجب خوفي منه فلا جراءة لي على الشفاعة عنده نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فيذهبون الى عيسي عليه السلام فيقولون له أنت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فاشفع لنا عند الله فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فيذهبون الى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ووجهه يضيء على أهل الموقف من أعلى منبره فينادونه ياحبيب رب العالمين وسيد الانبياء والمرسلين قد عظم الامر واشتد الخطب وطال الوقوف وعظم الكرب فاشفع لنا عند الله في فصل القضاء فمن كان منا من أهل الجنة يؤمر به اليها ومن كان منا من أهل النار يؤمر به اليها الغوث الغوث يامحمد فانت صاحب الجاه المبعوث رحمة للعالمين عند ذلك يبكي النبي ﷺ ويقول (انا لها انا لها) ثم يقوم مقاما على يمين العرش لايقومه احد من الخلق غيره فيسجد لله تعالى ويثني عليه ثناء يلهمه الله تعالى اياه في ذلك الوقت لم ينطق به أحد من الخلق غيره فينادى من قبل الله يامحمد ليس هنا موضع سجود فارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه وقل يسمع لك ثم يرفع رأسه ويحمد الله تعالى بمحامد يعلمه الله اياها لم يحمد بها أحد قبله فيشفع لأهل الوقف في الانصراف فيقول يارب مر بعبادك الى الحساب فقد اشتد الكرب فيجاب

الى ذلك وهذا هو المقام المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون : وان الناس لم يلهموا الذهاب الى محمد ﷺ من أول الامر لأجل أن يظهر فضله عليه الصلاة والسلام على سائر الانبياء ولأن هذه الشفاعة من خصوصياته ﷺ وهناك شفاعات أخرى يشترك فيها الانبياء والمرسلون والعلماء والصالحون والمؤمنون فمن ذلك الشفاعه الى أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ومنها الشفاعة الى أقوام استحقوا النار فيشفع لهم في دخول الجنة ومنها الشفاعة الى أقوام برفع درجاتهم ومنها الشفاعة الى أقوام استحقوا الخلود في النار بالتخفيف عنهم

ايتاء الصحف

ومما يجب الايمان به أن كل فرد من افراد الامم يؤتى صحيفته التي كتبتها الملائكة من اعماله في الدنيا فان كل مكلف له صحيفة كتبت فيها اعماله خيراً كانت أو شراً فاذا مات المكلف جعل كتابه في خزانة فان كان مؤمنا كان كتابه في عليين « كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وما أدراك ماعليون كتاب مرقوم يشهده المقربون » وان كان المكلف كافرا كان كتابه في سجين « كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ماسجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين » فاذا كان الناس في الموقف بعث الله تعالى ريحا تطير بها الكتب من خزاناتها وكل كتاب يلزم عنق صاحبه فلا يخطىء كتاب صاحبه « وكل انسان الزمناه طائره في عنقه » ثم تناديهم الملائكة فتأخذها من اعناقهم وتعطيها لهم في أيديهم وأول ماينظر فيه يجد مكتوباً عليه (أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » فاذا أمسك الواحد كتابه ان كان مؤمنا ابيض وجهه وان كان كافرا اسود وجهه (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)

فالمؤمن أولا ينظر في صحيفة السيئات فاذا قرأها يجد مكتوباً هذه سيئاتك قد غفرتها لك فيقلب الصفحة فيجد الحسنات فيتهلل وجهه فرحاً وسروراً ويقول

« هاؤم اقرأوا كتابيه اني ظننت أني ملاق حسابيه » وأما الكافر أو المنافق فينظر صحيفة الحسنات أولاً فيغتر فاذا أتي على آخرها التي مكتوباً هذه حسناتك مردودة عليك ثم يقلب الصحيفة فيجد السيئات فيسودُّ وجهه ويقول : « ياليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية » والمؤمن يتناول صحيفته بيده اليمنى والكافر والمنافق يتناولانها بيدهما اليسرى من وراء عنقيهما (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً » وينقلب الى أهله مسروراً وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً » وكل مكلف يقرأ صحيفته بنفسه ولو كان في الدنيا أمياً فواجب العاقل أن يبيض صحيفته بالأعمال الطيبة المرضية واذا وقعت منه سيئة أكثر من الاستغفار ففي الحديث الشريف « ما من مؤمن الا وله كل يوم صحيفة فاذا طويت وليس فيها استغفار طويت وهي سوداء مظلمة ، واذا طويت وفيها استغفار طويت ولها نور يتلألأ »

الحساب

ومما يجب الايمان به الحساب وذلك أن الله تعالى قبل انصراف الخلائق من الموقف يُوقِفُ كل واحد منهم على أعماله خيراً كانت أوشراً قولا أو فعلاو يكلمهم في شأنها ويخبرهم بما لهم وما عليهم من الثواب والعقاب . قال تعالى « انَّ الينا إيابهم ثم انَّ علينا حسابهم » وقال « ان الله سريع الحساب » وقال « فوربك لنسألنّهم أجمعين عمّا كانوا يعملون » وفي الحديث الشريف « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » وروى مسلم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لتؤدنَّ الحقوق الى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » وروى عدي بن حاتم أن رسول الله ﷺ قال « ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه و بين ربه ترجمان

فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى الا ماقدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار فاتقوا النار ولو بشق تمرة » والحساب لكل واحد من الانس والجن مؤمنهم وكافرهم الا من ورد أنهم يدخلون الجنة بغير حساب. فقد ورد في الحديث الشريف « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ، فقيل له : هلا استزدت ربك ؟ فقال استزدته فزادني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفا . فقيل له : هلا استزدته ؟ فقال استزدته فزادني ثلاث حثيات بيده الكريمة) والحثيات دفعات أي أعطاني مالا أحصي له عدداً ويختلف الحساب شدة وسهولة عسراً ويسراً سراً وجهراً فضلا وعدلا كل حسب أعماله ، وحكمة الحساب امتحان العباد به في الدنيا ليؤمنوا به وافتضاح أصحاب النقص وتفاوت المراتب في الكمال . فمن ينكر يوم القيامة شيئاً من أعماله شهدت عليه جوارحه « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » وأول من يحاسب الأمة المحمدية الكريمة

الميزان

ومما يجب الايمان به وزن الاعمال وذلك أن الله تعالى بعد استلام كل واحد صحيفته يعد ميزانا حسيا له لسان وكفتان اليمنى نيرة معدة لوضع الحسنات فيها والثانية مظلمة معدة لوضع السيئات فيها فتوزن بهذا الميزان صحف الاعمال قال تعالى « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » وقال « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم » وقد ورد في الحديث الشريف « أن الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر فيقول أتنكر من هذا شيئاً أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول لا يارب . فيقول

ألك عذر ؟ فيقول لايارب . فيقول ألك حسنة ؟ فيقول لا يارب . فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لاظلم عليك فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقول احضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع السجلات ؟ فيقول انك لاتظلم . فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء » وحكمة الوزن امتحان العباد بالايمان به في الدنيا وجعل ذلك علامة لاهل السعادة والشقاوة

مضاعفة الاعمال الخيرية

ومما يجب الايمان به أن العبد اذا عمل سيئة يجازى بمثلها فقط لقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » وهذا اذا لم يتب منها صاحبها أو يغفرها له المولى فان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . أما اذا مات العبد وعليه ذنوب ولم يتب منها فهو تحت مشيئة الله تعالى ان شاء عاقبه بعدله السيئة بمثلها وان شاء غفر له بفضله

ومن يمت ولم يتب من ذنبه فأمره مفوض لربه

وأما من عمل حسنة ففي المجازاة عليها تفاوت ، فبعض الحسنات يجازى عليها صاحبها بعشر حسنات لقوله تعالى « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ومنها ما يجازى فاعلها بخمسة عشر ، ومنها ما يكون الجزاء عليها بثلاثين ، وقسم يكون الجزاء عليه بخمسين ، وقسم بسبعمائة ، وقسم لايعلم قيمة الجزاء عليه الا الله تعالى « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » وقال « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » وهـذا التضاعف يكون بحسب الاخلاص وعدمه وقلته وكثرته

الحوض

ومما يجب الايمان به حوض نبينا ﷺ وهو جسم مخصوص متسع الجوانب ترده الأمة المحمدية حين خروجهم من قبورهم عطاشى ، ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه اكثر من نجوم السماء وأطفال المسلمين الذين ماتوا في سن الطفولة واقفون حوله عليهم أقبية الديباج ومناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأقداح من ذهب يسقون آباءهم وأمهاتهم الذين صبروا عند فقدهم . روي في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « حوضي مسيرة شهر زواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبداً » وليس ورود الحوض لكل الأمة بل خاص بالذين تمسكوا بشريعته ﷺ ولم يغيروا أو يبدلوا ولم يتخذوا عقيدة غير التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وأما غيرهم فيردُّون عنه ويطردون . روى الامام مسلم عن رسول الله ﷺ « ترد أمتي علي الحوض وأنا أذود الناس كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله ، قالوا يا رسول الله تعرفنا ؟ قال نعم . لكم سيمٌ ليست لأحد غيركم تردون عليّ غراً محجلين من آثار الوضوء وليُصَدَّن عني طائفة منكم فلا يصلون اليّ أقول يارب أصحابي أصحابي فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك » وقد ورد أن لكل نبي حوضا ترده أمته وكل نبي يتباهى بكثرة واردي حوضه ونبينا ﷺ أكثرهم واردا

الصراط

ومما يجب الايمان به الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من

الشعرة وأحد من السيف وأوّله في الموقف وآخره عند فضاء فيه درج يصعد به الى باب الجنة وطوله ثلاثه آلاف سنة ألفٌ صعود وألفٌ هبوط وألف استواء ويمر بهذا الصراط بعد الحساب الأوّلون والآخرون من لدن سيدنا آدم عليه السلام الى قيام الساعة « وانْ منكم الا وارِدُها كان على ربك حتما مقضيا » أي يمرّ على الصراط المضروب على ظهر جهنم وجبريل واقف في أوله وميكائيل واقف في وسطه يسألان الناس عن عمرهم فيما أفنوه وعن شبابهم فيما أبلوه وعن علمهم ما ذا عملوا به وعن مالهم من أين اكتسبوه وفي أي شيء أنفقوه وتتصوّر الشهوات الدّنيوية حوله بصورة كلاليب مثل شوك السّعدان والملائكة صافّون يميناً وشمالا حوله يختطفون الناس بهذه الكلاليب والناس متفاوتون في المرور عليه وسرعته . فمْهم من يمر كطرفة عين ومنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالطير ومنهم من يمر كالجواد ومنهم من يمر سعياً أو مشياً أو حبواً ومنهم من يسقط في النار وكل ذلك بالنسبة لدرجة الاستقامة في الدنيا فمن استقام على الصراط الدينيّ في دنياه كانت درجته في المرور على الصراط بحسب ذلك . وحكمة الصراط حصول التحسّر للكفار والمنافقين والمنهمكين في لذّاتهم الدّنيويّة وسرور المؤمنين والطائعين بالمرور عليه قل تعالى « فلا اقتحم العقبة » قل مجاهد والضّحّاك العقبة الصّراط أى هلاّ أنفق ماله فيما ينفعه وقت مروره على الصراط وروى مسلم مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم قال « يُضرب الصّراط بين ظهرانيْ جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجوزه ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوة الرسل يومئذ اللهم سلّم سلّم »

النار

هي دار أعدّها الله تعالى لتعذيب الكافرين والمنافقين والعصاة من

المؤمنين فأما الكافرون والمنافقون فخالدون فيها أبداً لا يخرجون منها مدى الدهر وأما العصاة من المؤمنين فيعذّبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وهي سبع طبقات : جهنم ، ولظى ، والحطمة ، والسعير ، وسقر ، والجحيم ، والهاوية .
فأما جهنم فيعذب فيها عصاة المؤمنين كلٌّ بقدر ذنوبه ثم تصير خراباً بعد خروجهم منها وهي أعلا طبقات النار ، وأما لظى فهي لليهود ، وأما الحطمة فهي للنصارى ، وأما السّعير فهي للصابئين وهم فرقة من اليهود ازدادوا ضلالا على ضلالهم ، وأما سقر فهي للمجوس وهم عباد النار ، وأما الجحيم فهي لعبدة الأصنام ، وأما الهاوية فهي للمنافقين وهي أسفل الدرجات « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة » وقال عليه الصلاة والسلام « انَّ ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم وانّها لتتعوّذ من نار جهنم في كل يوم سبعين مرة »

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ . « يؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها » وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « أوقِدَ على النار ألف سنة حتى احمرّت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضّت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت فهي سوداء كالليل المظلم »

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى « ويُسْقى من ماء صَدِيدٍ يتجرَّعُه ولا يكادُ يسيغه ويأتيه الموتُ من كلِّ مكان وما هو بميّتٍ ومن ورائه عذابٌ غليظ » قال يقرَّب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطَّع أمعاءه حتى يخرج من دبره . قال الله عزَّ وجل « وَسقُوا ماءً حميا فقطع أمعاءهم » وقال تعالى « وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً »

الجنة

هي دار أعدّها الله تعالى ليتنعم فيها المؤمنون جزاء أعمالهم الخيرية قال تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا » وقال تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم » وهذه الدار لها من الأوصاف مالا تحيط به العقول ولا تدركه الأفهام فمنها ان على باب هذه الدار شجرة ينبع من أصلها عينان فاذا شرب أهل الجنة من أحدهما جرت في وجوههم نضرة النعيم واذا توضئوا من الاخرى لم تشعث أشعارهم ابدا وبها منازل مبنية باللؤلؤ والياقوت منها طرائق حمر ومنها طرائق خضر ومنها طرائق صفر وليس فيها طريقة تشاكل صاحبتها وترابها المسك والزعفران وفيها من الحور العين مايدهش العقول على كل حوراء سبعون حلة يُرى مخ ساقها من باطن الحلل تجرى من تحت أهلها الانهار المطردة أنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية فاذا اشتهى أحد من الجنة طعاماً قال سبحان الله وبحمده تنزل عليه مائدة طولها ميل وعرضها ميل فيها ماتشتهيه الانفس فاذا فرغ قال الحمد لله رب العالمين فترفع ويروى اذا اشتهى طعاما جاءته طيور بيض فتقول له ياولىّ الله انني اكلت من ثمار الجنة فهل لك أن تأكل مني فترفع أجنحتها فياكل من جنوبها من أيّ الألوان شاء ثم تطير وفيها ثمار متدلية اذا اشتهى أحد شيئاً نزل الغصنُ على من يشتهيه فيأكل من أيّ الثمار شاء ان شاء قائما وان شاء متكئاً وذلك قوله تعالى « وَجنى الجنّتين دان »

وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ المكنون يطوفون عليهم « اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا » وهي سبع جنات متجاورة أفضلها الفردوس وهي أعلاها ومنها تفجر أنهار الجنة وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة عدن ودار السلام ودار الجلال ودار النعيم وروى أنس بن مالك رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ « ان أسفل أهل الجنة أجمعين درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم بيد كل واحد صفحتان واحدة من ذهب والاخرى من فضة في كل واحدة لون ليس في الاخرى مثله يأكل من آخرها مثل مايأكل من أولها يجد لاخراها من الطيب واللذة مثل الذي يجد لأولاها ثم يكون ذلك ريح المسك الأذفر لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون اخوانا على سرر متقابلين » وكل أهل الجنة على من واحد وطول واحد فطول كل منهم ستون ذراعاً وسن كل منهم ثلاث وثلاثون سنة ويروي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة مالاعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »

الكوثر

هو نهر في الجنة عمقه في الارض سبعون الف فرسخ ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل شاطئاه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت خص الله به نبينا ﷺ قال تعالى مخاطبا نبينا ﷺ (انا أعطيناك الكوثر) فهو خاص به عليه الصلاة والسلام وليس لنبي سواه ولهذا امتن الله به عليه وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « بينما أنا أسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ماهذا ياجبريل قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك » . . .

الخاتمة

فخر الكائنات

هو السيد الأعظم والنبي الأفخم سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وهو ذلك الطود الشامخ والقمر المنير الذي بوجوده استنار الكون بعد أن كان ظلاماً . . .

كانت الأرض قبل البعثة في جهالة عمياء وظلام كالح فلا ترى الا قتالا بين القبائل وتفاخراً بالانساب والاحساب وكل قبيلة تريد قتل أختها واخراجها من الوجود خوفا من أن تشاركها في مجد أو تماثلها في فخر . فترى العرب على اختلاف قبائلهم وكثرة نحلهم وتعدد معتقداتهم وتباعد مشاربهم وتباين عاداتهم متنافسين متباغضين كل قبيلة تريد أن تكون صاحبة السيادة والرفعة وكل أصحاب معتقد يريدون أن ينضم الغير اليهم فيما يعتقدون وكل أصحاب عادة يريدون أن يسير غيرهم على مايعتادون . فعندما كان يندب الرجل أخاه الى حرب أى قبيلة أجابه على الفور من غير أن يسأله عن السبب حتى يعرف الظالم من المظلوم ولذا يقول شاعرهم :

لايسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ماقال برهاناً

وكانت تتنافس الوجود من غير العرب دولتان عظيمتان وهما الفرس والروم وكل دولة من هاتين الدولتين تريد السيطرة على الأخرى وذلك كله ناشيء من تباعد عهد النبوة وتقادم أمر الرسالة فكان من صالح البشر واصلاح الكون وانتظام الدنيا ارسال رسول يمحو تلك الاختلافات ويعيد للكون نظامه فكان ذلك المرسل هو سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وهذه سنة الله في أرضه فكلما رأى اختلافا في الكون وتشعباً في المذاهب والمعتقدات واضطرابا في العادات أرسل رسولا يهدى الناس الى صراط مستقيم . وكانت جميع الاقطار

في ذلك الوقت تمنع من فيها اعتناق الحرية واطلاق الفكر بل كل دولة تريد أن يكون اتباعها خدما لها أرقاء لسلطانها . سوى بلدة واحدة كانت فيها الحريات مطلقة والافكار سائغة كل من فيها يمكنه أن يجاهر بما يعتقد وأن يفعل مايريد وكانت متى غضبت دولة أو قبيلة على أحد أفرادها فلا يجد بلدا يأويه الا هذه القرية وتلك هي أم القرى مكة المكرمة وما كانت لها تلك الميزة الا بوجود بيت الله الحرام بها وهو الكعبة المشرفة فكان من المصلحة العامة والخاصة لنظام العباد والبلاد أن يكون ارسال محمد ﷺ بتلك الديار المقدسة ... فلما طلعت شمس الاسلام في تلك الديار المطهرة جاء ﷺ ناقما على اعتقادات الجهالة مبيناً لهم طريق الهداية وأعلم الناس جميعاً قائلا لهم كلام ربه « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم » وناداهم بأعلى صوته « كلكم لآدم وآدم من تراب لافضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » وناداهم متهكما على اعتقاداتهم الفاسدة في أرباب متفرقة « ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » فلما نظر عقلاء قريش فيما يدعو اليه محمد ﷺ وفهموا أحقيته وصوابه دخلوا في دين الله جماعات وفرادى « جاءوا اليه زرافات ووحدانا » فكانوا عونا له على نشر الدين الحنيف واخراج الناس من الظلم والاستعباد الى نور الهداية والاسلام وفتح الله بهم قلوبا كانت عمياء في جهالة صماء مما أراد الله سبحانه وتعالى ولا مانع مما يريد ...

تبشير التوراة به ﷺ

أنزل الله التوراة على موسى عليه السلام محتوية على الشرائع التي تناسب أهل زمانه ونوه الله فيها بذكر كثير من الانبياء الذين سيرسلون فيما بعد وقد جاء في الاصحاح الثامن من سفر التثنية تبشيرا برسولنا ﷺ مخاطبا لموسى

عليه السلام (وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين أخوتهم واجعل كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء آمره به ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا الذي أنتقم منه فأما النبي الذي يجترىء على بالكبرياء ويتكلم باسمي بما لم آمره به أو باسم آلهة أخرى فيقتل واذا أحببت أن تميز بين النبي الصادق والكاذب فهذه علامتك ان ماقاله ذلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه وذلك لاتخشاه) ولم توجد هذه الأوصاف في نبي بعد موسى عليه السلام الا في نبينا ﷺ وقد سئل ﷺ عن صفته في التوراة وهو الصادق المصدوق قال «عبدي احمد المختار مولده مكة ومهاجره طيبة أمته الحمادون لله على كل حال »

تبشير الانجيل به عليه الصلاة والسلام

بشر عيسى عليه السلام قومه (بالفارقليط) ومعناه قريب من محمد أو احمد وقد وصفه عيسى عليه السلام قائلا (انه يوبخ العالم على خطيئته وانه يعلمهم جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل مايسمع) وهذه الاوصاف انما تنطبق على نبينا ﷺ وقد ورد في انجيل برنابا الذي ظهر منذ زمن قريب وأخفته حجب الجهالة ذكر اسم الرسول عليه السلام صراحة وهذا الانجيل مترجم بالعربية ومطبوع بمصر وقد ورد في القرآن أن عيسى عليه السلام بشر قومه بمحمد ﷺ وذلك قوله تعالى « واذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد »

خاتم الانبياء ﷺ

ومما يجب اعتقاده أن رسولنا محمداً ﷺ هو خاتم الانبياء ولا نبي يأتي

بعده قال تعالى في كتابه العزيز (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) ومعنى ذلك ان النبوة انقطعت به ﷺ وقد ورد في صحيحي البخاري ومسلم ان رسول الله ﷺ قال « مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى داراً بناء فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين » وقد انعقد الاجماع من المسلمين جيلا بعد جيل على ذلك وأصبح معلوما من الدين بالضرورة فمن ينكر ذلك ويدعى لنفسه أو لغيره النبوة بعده ﷺ فقد انسلخ عن الاسلام وكان من الغاوين وقد ظهرت طائفة سنة ١٢٦٠ هجرية تسمى بالبابية نسبة الى زعيم لهم وادعى بعض أفرادها النبوة وروجوا على هذا المذهب وادعوا ادعاءات باطلة واعتقدوا اعتقادات فاسدة وغرضهم بهذا تمزيق شمل الاسلام وتشتيت أفراده وجماعاته ولكن يقظة رجال الدين والاسلام سترد كيدهم في نحورهم ان شاء الله تعالى

نسبه ﷺ

هو سيدنا ومولانا محمد ﷺ ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وكل هؤلاء الآباء كانوا أماجد مقدمين في قومهم فقد ذكرت التواريخ ان لكل واحد منهم مزية عظمى في قومه وأمه ﷺ السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وليس وراء هذا النسب طريق صحيح الا أنه متفق بين المؤرخين والمحدثين ان نسبه ﷺ يتصل بسيدنا اسماعيل بن سيدنا ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ولذا ورد عنه ﷺ

أنه قال « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فانا خيار من خيار من خيار من خيار »

زوجاته ﷺ

أما زوجاته ﷺ فأمهات المؤمنين وهن احدى عشرة زوجة أولهن السيدة خديجة بنت خويلد وعائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأم سلمة بنت أبي أمية وحبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعه وزينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وميمونة بنت الحارث وجويرية بنت الحارث وصفية بنت حيي . وحكمة تعدد زوجاته ﷺ انما هو الاتصال بالقبائل العظام وليتقان عنه ﷺ أفعاله المنزلية ليتسنى نشر الدين الحنيف بين الرجال والنساء بسهولة فاذا راجعت أسباب زواجه بامهات المؤمنين فلا تجده مع كل واحدة دخل بها الا لمصلحة دنيوية أو دينية فلا تظن أنه ﷺ كان شهوانياً كما يدعي ذلك الدعاة الى المسيحية

اولاده ﷺ

أما أولاده ﷺ فسبعة ثلاثة ذكور وأربع إناث أما الذكور فالقاسم وعبد الله وابراهيم وأما الاناث فزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم وكلهم من السيدة خديجة رضي الله عنها الا ابراهيم فمن مارية القبطية التى أهداها له عظيم القبط في مصر في ذلك الزمان وكلهم انتقلوا الى الدار الآخرة قبل انتقاله اليها ، الا السيدة فاطمة الزهراء فقد بقيت بعده بأشهر قليلة

أعمامه ﷺ

أما أعمامه فاثنا عشر وهم الحارث وأبو طالب والزبير وحمزة وأبولهب والغيداق والمقوم وضرار والعباس وقثم وعبد الكعبة وحجل وكلهم ماتوا قبل البعثة الا أربعة وهم حمزة والعباس وأبو طالب وأبو لهب . وتشرف بالهداية الاسلامية الحمزة والعباس وكانا خير معين له على رفع لواء الاسلام

عماته ﷺ

وهن ست : عاتكة وأمية والبيضاء وبرة وصفية وأروى

أخواله وخالاته ﷺ

أخواله ثلاثة وهم اسود وعمير وعبد يغوث . وخالاته اثنتان فريعة وفاختة . وكلهم ماتوا قبل بعثته ﷺ وقد ذكرهم الشاعر قائلا :

خال النبيّ أسود عمير عبد يغوث ليس فيهم ضير
فريعة فاختة خالات والكل قبل بعثه قد ماتوا

طرف من سيرته ﷺ

ولد ﷺ بمكة المكرمة وكفله جده عبد المطلب لان والده توفى وهو في بطن أمه ثم توفيت أمه وعمره ست سنين فلما بلغ سنه ثماني سنوات توفي جده فكفله عمه أبو طالب فاعز جانبه وأحبه حباً شديداً وقد خرج به الى الشام متاجراً فقابله بحيرا الراهب فقال له ارجع بابن أخيك واحذر عليه من اليهود فان زمانه قد قرب . فرجع به بسرعة بعد فراغه من تجارته

وكان ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب لتكون بذلك المعجزة أظهر وأبين وكان بعيد النظر راجح العقل طويل الصمت كثير الحلم يوقر الكبير ويرحم الصغير لا يحتقر فقيراً لفقرة ولا يهاب عظيما لعظمته يتفقد أصحابه اذا غابوا ويلاطفهم اذا حضروا وكان متواضعاً يجلس على الارض يخرز النعل ويرقع الثوب يحسبه الرائي فقيرا وهو أغنى الناس وصغيرا وهو أكبرهم قد حفظه الله تعالى قبل البعثة من خصال الجاهلية فلم يسجد لصنم قط ولم يشرب الخمر ولم يلعب الميسر وقد حببت اليه الخلوة فكان يخلو بغار حراء ويتعبد الليالي ذوات العدد فلما بلغ سنه أربعين سنة جاءته الرسالة فأخذ يدعو الناس الى الاسلام سراً ومكث على ذلك ثلاث سنوات فلما كثر جمع المسلمين رجالا ونساء خاطبه الله تعالى قائلا « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » فرقي الصفا ونادى بأعلى صوته يابطون قريش فلما اجتمعوا عليه قال لهم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا فقال لهم « اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فنفر القوم وقال له عمه أبو لهب تبّاً لك ألهذا جمعتنا فانزل الله في شأنه « تبت يدا أبي لهب وتبّ ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبلٌ من مسد » ثم أنزل الله عليه قوله « وانذر عشيرتك الاقربين » فأمر علياً ان يصنع طعاما ففعل فدعا أقاربه وقال لهم « لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم والله الذي لا اله الا هو اني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها لجنة أبدا أو لنار أبدا » فتكلم القوم كلاما ليناً سوى أبي لهب فقال شد ما سحركم به صاحبكم خذوا على يديه قبل ان تجتمع عليه

القوم . فمانعه في ذلك أبو طالب فلما رأت قريش ما ظهر به محمد ﷺ من الاستهزاء بهم وسب آلهتهم استهزؤا به وسخروا منه واشتد اذا هم له وللمؤمنين سيما بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجه خديجة فأمر أصحابه بالهجرة الى المدينة فهاجروا وكان قد عقد مع أهل المدينة عهدا على المناصرة والمساعدة ولما رأت قريش هجرة أصحابه وغيبتهم من بينهم أفزعهم ذلك وعلموا أنهم ذهبوا الى قوم ذوى نجدة وقوة ومتى لحق بهم نبيهم استعدوا الى القصاص منهم فاجتمعوا وتشاوروا فيما يصنعون معه وبينما هم في دار الندوة يتشاورون استأذن عليهم رجل عجوز ولا يعرفونه فقالوا له من أنت قال رجل من نجد فدخل عليهم فاذا هو شيخ كبير عليه كساء غليظ وطيلسان من خز وقال لهم علمت باجتماعكم فجئتكم وعسى أن لا أعدمكم رأياً ونصحاً وذلك هو اللعين ابليس قال أبو البحتري بن هشام أحبسوا محمداً في الحديد واغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء فرفض ابليس هذا الاقتراح وقال لهم والله لو حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه وقال ربيعة بن عمر العامري نخرج محمداً من بين ظهرانينا وننفيه من بلادنا ولا نبالي أين يذهب فرفض ابليس هذا الرأى قائلا والله ما هذا برأي الم تروا الى حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت ان يحل على حيّ من العرب فيغلب بذلك عليهم فيتابعوه عليكم فيطأكم بهم أديروا فيه رأيا آخر غير هذا وقال أبو جهل والله ان لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه ان تختاروا من كل قبيلة فتى جلدا فيضربونه ضربة رجل واحد فيفرق دمه في جميع القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب جميعها فيأخذون ديته بلا قصاص فوافق ابليس على هذا الرأي ووافقه عليه أهل الاجتماع وعزموا على تنفيذ ذلك في مساء ذلك اليوم وقد حكى الله هذه

الحادثة قائلا « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ونزل جبريل عليه السلام فأخبر محمدا ﷺ بهذا الاجتماع وما دار فيه وأذن له بالهجرة الى المدينة وأمره ان لاينام الليلة في فراشه فهاجر ﷺ الى المدينة فاستقبله أهلها بالاكرام والاجلال وأحاطوا به احاطة الهالة بالقمر ، والاكمام بالثمر ، وخرج النساء والصبيان ينشدون أمامه :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وبهذه الهجرة كثر سواد المسلمين وقويت شوكتهم وتأيد الدين بأمر الله تعالى فمكث ﷺ بينهم وقوى الصلات والرابطة بين المهاجرين والانصار وأعدوا العدة للقصاص من المشركين ففتحوا الامصار ودخل الناس في دين الله أفواجاً وانتقل ﷺ بالمدينة ودفن بها عليه الصلاة وأزكى السلام

شمائله واخلاقه ﷺ (1)

كان ﷺ أزهر اللون شديد سواد حدقة العين مع سعة فيها وفي بياض عينيه حمرة مضيء الوجه مدوره كأنه القمر قصبة أنفه مرتفعة مع احديداب يسير كث اللحية تملأ صدره سواء البطن عظيم الصدر ضخم العضدين والذراعين ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتناهي ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب الى الطويل الا طاله ﷺ اذا افتر ضاحكا افتر مثل سنا البرق واذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه أحسن الناس عنقاً متماسك البدن قال

(1) غالب ماذكر في هذا الموضوع منقول عن كتاب نور اليقين للاستاذ الخضرى بك

البراء بن عازب مارأيت من ذي لمة سوداء في حلة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ وقال عليّ كرم الله وجهه في آخر وصفه ﷺ من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ

نظافته وطيب ريحه ﷺ

قال أنس بن مالك رضي الله عنه ماشممت عبيراً قط ولا مسكا ولا شيئاً اطيب من ريح رسول الله ﷺ وعن جابر رضى الله عنه أنه ﷺ مَسَحَ خده قال فوجدت ليده بردًا وريحًا كأنما أخرجها من جؤنة عطّار قال غيره مسَّها بطيب أو لم يَمَسَّها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها وكان اذا مر بطريق وتبعه غيره عرف أنه ﷺ مر بهذه الطريق لما يجده من الرائحة الزكية وقال أبو هريرة رضي الله عنه في صفة مشيه ﷺ مارأيت أحداً أسرع من رسول الله ﷺ في مشيه كأنما الارض تطوي له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث

حلمه وعفوه ﷺ

كان ﷺ حليما محتملا للأذي عفوّاً صابراً على مايكرهه خاطبه ربه تبارك وتعالى قائلا « خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وقد سأل رسول الله ﷺ جبريل عن تأويل ذلك فقال له يامحمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقد اتصف ﷺ بنهاية هذه الاوصاف فما من حليم الا عرفت عنه زلة وحفظت عنه هفوة ونبينا ﷺ لايزيد مع كثرة الايذاء الا صبراً وعلى اسراف الجاهل الا حلما ولما فعل معه المشركون مافعلوا من ايذائه وطرح النجاسات عليه وهو مار في طريقه واخراجه

من دياره وقتاله لم يعاقبهم بشيء ما حينما فتح الله عليه مكة بل قال لهم ماتظنون اني فاعل بكم اليوم قالوا اخٌ كريم وابن اخ كريم فقال (اذهبوا فأنتم الطلقاء) وروى أنس بن مالك رضي الله عنه انه كان مع النبي ﷺ وعليه بُرْدٌ غليظ الحاشية فجذبه اعرابى بردائه جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عنقه ثم قال يامحمد احمل لى على بعيريَّ هذين من مال الله الذي عندك فانك لاتحمل لى من مالك ولا من مال أبيك . فسكت النبي ﷺ ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال ويقادمنك يااعرابى مافعلت بي قال لا قال لم قال لأنك لاتكافئ بالسيئة السيئة فضحك عليه السلام ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر ولم يكن صلى الله عليه وسلم منتصراً لنفسه قط مالم تنتهك حرمة من حرمات الله وما ضرب بيده شيئاً قط الا أن يجاهد فى سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة فصلى الله عليه وسلم

جوده وسخاؤه ﷺ

كان صلى الله عليه وسلم كثير الجود والكرم والسماحة والسخاء وصفه بهذا كل من عرفه قال جابر رضي الله عنه « ماسئل عليه الصلاة والسلام عن شيء فقال لا »وحمل اليه صلى الله عليه وسلم مرة تسعون الفا من الدنانير فوضعها على حصير وأخذ يقسمها فما قام حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله شيئاً قال ماعندى شيء ولكن ابتع على فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله مالا تقدر عليه فكره ذلك ﷺ فقال له رجل من الانصار يارسول الله انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم ﷺ وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت

شجاعته ﷺ

كان ﷺ ذا نجدة وشجاعة ، حضر المواقف الصعبة وفر الأبطال والشجعان منه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح قال ابن عمر رضي الله عنهما ما رأيت أشجع ولا اجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ وقال الامام علي كرم الله وجهه انا كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب الى العدو منه وقال أنس رضي الله عنه كان ﷺ أشجع الناس وأحسن وأجود لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم ﷺ راجعاً قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا

حيـاؤه ﷺ

كان ﷺ أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات اغضاء قال أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه « كان ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئاً عرفناه في وجهه » وكان صلى الله عليه وسـلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحداً بما يكره حياء وكرم نفس قالت عائشة كان عليه الصلاة والسـلام اذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا بل يقول ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمى فاعله وقالت أيضاً لم يكن ﷺ فاحشا ولا متفحشاً ولا صخابا بالاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولـكن يعفو ويصفح

حسن عشرته ﷺ

كان ﷺ حسن العشرة واسع الصدر أصدق الناس لهجة والينهم عريكة

وكان يؤلف أصحابه ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان أحدا أكرم عليه منه واذا جالسه أو قارب منه أحد لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه وما سأله أحد حاجة الا ردّه بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظّ ولا غليظ ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي قال تعالى « فبما رحمة من الله لِنْتَ لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر » وكان ﷺ يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها ، وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال أنس رضي الله عنه ما التقم أحد اذن النبي ﷺ يحادثه فنحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحى رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسل الآخر وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بها على أحد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه فى الجلوس عليها ان ابى ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفساً مالم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب ...

شفقته ورحمته ﷺ

كان ﷺ شديد الشفقة والرحمة على أصحابه وعلى عموم الناس ولذا وصفه الله تعالى قائلا : « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم » وقال أيضاً « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ويروى أن اعرابياً جاءه يطلب شيئاً فأعطـاه ، ثم قال له : أأحسنت اليك ؟ قال الاعرابي : لا ولا أجملت ، فغضب المسلمون وقاموا اليه فأشار اليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل اليه فزاده شيئاً ، ثم قال أأحسنت اليك ؟ فقال نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً . فقال ﷺ : انك قلت ماقلت وفي نفس أصحابي منك شيء فان أحببت فقل بين أيديهم ماقلت بين يدي حتى يذهب مافي صدورهم عليك ، قال نعم . فلما كان الغد أو العشي جاء فقال عليه الصلاة والسلام : ان هـذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك ؟ قال نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً . فقال ﷺ « مثلي ومثل هذا ، مثل رجل له ناقة شردت عليه فأتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً فناداهم صاحبها خلُّوا بيني وبين ناقتي فاني أرفق بها منكم وأعلم ، فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الارض فردّها حتى جاءت فاستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ماقال فقتلتموه دخل النار » وكان يقول ﷺ « لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئاً فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصـدر » وكان ﷺ يسمع بكاء الصبي فيتجوَّز في صـلاته . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كان ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا . وكان ﷺ يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم

تواضعه ﷺ

كان ﷺ على علو منصبه ورفعة رتبته أشد الناس تواضعاً وأقلهم تكبراً ، ولقد خير بين أن يكون نبياً ملكا أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً ، قال لاصحابه مرة انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم حيثما انتهى به المجلس جلس وقد حج ﷺ مرة على رحل رث وعليه قطيفة ماتساوي أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجاً مبرورا لارياء فيه ولا سمعة . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال دخلت السوق مع رسول الله ﷺ فشترى سراويل وقال للوزان زن فأرجح فوثب الوزان الى يد رسول الله ﷺ يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل فذهبت لأحملها قال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله وكان قد وفد عليه وفد فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني أحب أن اكافئهم

زهده ﷺ

كان ﷺ متقللا من الدنيا ومعرضاً عن زهرتها وقد سيقت له بحذافيرها وراودته جبالها بأن تكون له ذهباً فأبى

وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم

ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » وقالت عائشة رضي الله عنها : ماشبع ﷺ ثلاثة أيام من خبز حتى مضى لسبيله . وقالت رضي الله عنها : ماترك ﷺ

ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي . وقال ﷺ إني عرض علي أن تجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب أجوع يوما وأشبع يوما ، فأما اليوم الذي أجوع فأتضرع اليك وأدعوك ، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك .

وقالت عائشة رضي الله عنها : إنا كنا آل محمد لنمكث شهراً لا نستوقد ناراً إن هو إلا التمر والماء ، وفي حديثها أيضاً : لم يمتلىء بطن النبي ﷺ شبعاً قط ولم يبث شكوى الى أحد وكانت الفاقة أحب اليه من الغنى ، وانه كان يظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا مايقوتك فيقول ياعائشة مالي وللدنيا اخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على رب كريم فأكرم مثواهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحي ان ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غداً دونهم وما من شيء أحب إلي من اللحوق باخواني وأخلائي . قالت فما أقام بعد إلا أشهراً حتى توفى

خوفه وطاعته ﷺ

كان ﷺ شديد الخوف من ربه كثير الطاعة له بقدر علمه به ، وقال : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطَّتِ (صوَّتت) السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى ، وكان ﷺ يصلي حتى تورمت قدماه فقيل له أتكلف خلك وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر قال « أفلا أكون عبداً

متكورآ » وقال عوف بن مالك رضي الله عنه كنت مع النبي ﷺ ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك . وعن علي كرم الله وجهه قال سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال « المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لأجل أمتي وشوقي الى ربي »

جزاه الله تعالى عن أمته أحسن الجزاء ورحم الله عبداً أثار هذه الشمائل الكريمة والخلال الحميدة وأجهد نفسه في التمسك بها واتبع رسول الله ﷺ ليفوز برضاء المولى تبارك وتعالى في الدار الدنيا والدار الآخرة ولينال شفاعة النبي الاعظم يوم الفزع الأكبر

أصحابه ﷺ

الصحابي هو من اجتمع بالنبي ﷺ في حال حياته وآمن به ومات على ذلك وهم أفضل القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . وكان الصحابة رضوان الله عليهم متمسكين بسنة نبيهم في الأخلاق والمعاملات والجهاد والصبر والزهد والطاعة والعدل فسادوا بذلك الأمم وفتحوا الأمصار ونشروا الدين وثبتوا دعائمه في مشارق الأرض ومغاربها فجزاهم الله عن الاسلام خير الجزاء

وواجب الوقف عما حصل بينهم من النزاع والخصام فلا نقول هذا مصيب

وهـذا مخطيء فانهم جميعاً مُجْتَهِدُونَ فمن اجتهد منهم وأصاب له أجران ومن اجتهد وأخطأ له أجر واحد ولذا قال ﷺ « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً من بعدي أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وروى أيضاً « لا تسبُّوا أصحابى فمن سبَّ أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صَرْفاً ولا عدلا »

المجتهدون

ومما يجب الايمان به أنَّ الأئمة في الدين عدول ومن قلَّد واحداً منهم نجا وهم على ثلاثة أقسام قسم منهم اشتغلوا بضبط المسائل الفقهية وتحريرها من الكتاب والسنة المطهَّرة والمشهور منهم أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم وكلهم على هدى من ربهم فواجب تقليد واحد منهم لقول الله تبارك وتعالى « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » ولقوله ﷺ « من قلَّد عالماً لقى الله سالما » ولا يجوز تقليد سواهم لأن مذاهب غيرهم لم تدوَّن ولم تضبط كما دُوِّنت مذاهبهم وضبطت ومن ادَّعى أنه مجتهد يأخذ الأحكام من الكتاب والسنة فهو مخدوعٌ ضالٌّ مضلٌّ لانه استظهر عليهم وهو دونهم في العلم والمعرفة والعمل والعدالة والاطلاع والاحاطة بعلوم العربية وأقوال الصحابة والاصول والتفسير والحديث كيف يماثلهم في ذلك وهم أقرب زمناً الى رسول الله ﷺ فمنهم التابعيُّ ومنهم تابع التابعي واختلاف هؤلاء في الفروع لا ضَرَر فيه بل هو رحمة لقول النبي ﷺ « اختلاف أمَّتي رحمة » والقسم الثاني من المجتهدين من اشتغلوا واعتنوا بأصول الدين وهو علم التوحيد كالسادة الأشعريَّة والسادة الماتريديَّة فأثبتوا أدلتها بالعقل والنقل وردوا شبه أهل الضلال المبطلين

والقسم الثالث : من اشتغلوا بتطهير النفوس وأمراض القلوب كالكبر والحسد وأوجبوا على المكلف حفظ قلبه وجوارحه مما يكرهه الله تعالى ، وهؤلاء هم أمثال أبي يزيد البسطامي وأبي القاسم الجنيد وعبد الخالق الغجدواني ومحمد بهاء الدين النقشبندي وحجة الاسلام الغزالي وعبد القادر الجيلاني وهؤلاء هم جماعة الصوفية وهم على هدى من ربهم لانهم بنوا طريقهم على اعتقاد أهل السنة وفقه العلماء المجتهدين بعد ماتفقهوا في دينهم وصححوا عقائدهم فكل صوفي فقيه ، والتصوف مطلوب لانه اقتطاف ثمار الشريعة ولذا قيل : (من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق) فواجب اتباع طريقهم ما داموا موافقين للشرع وان حادوا عنه فيجب نصحهم والارشاد لهم بأن يسلكوا طريق السلف بأن يشتغلوا بتعليم الدين أصوله وفروعه والسير على مقتضى الشريعة المطهرة

شرف الامة المحمدية

ومما يجب الايمان به أن الأمة المحمدية أفضل من جميع الامم وأشرف لقول الله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » وقد جعلهم الله أمة وسطا يشهدون يوم القيامة على جميع الأمم ، وقد ورد أن الرسل يوم القيامة يُسألون هل بلغتم أممكم فيقولون نعم فينكر الكافرون من قومهم ويقولون مابلغونا شيئاً فيقول الله تعالى للرسل من يشهد لكم بأنكم بلغتم قومكم فيقول الرسل تشهد لنا أمة محمد ﷺ فيسأل الله تعالى الأمة المحمدية هل بلغ الرسل قومهم فيقولون نعم فيقال لهم ومن أين لكم ذلك وأنتم آخر الامم فيقولون قد أخبرنا بذلك نبينا ﷺ وهو الصادق المصدوق ويشهد الرسول ﷺ بتصديقهم قال تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »

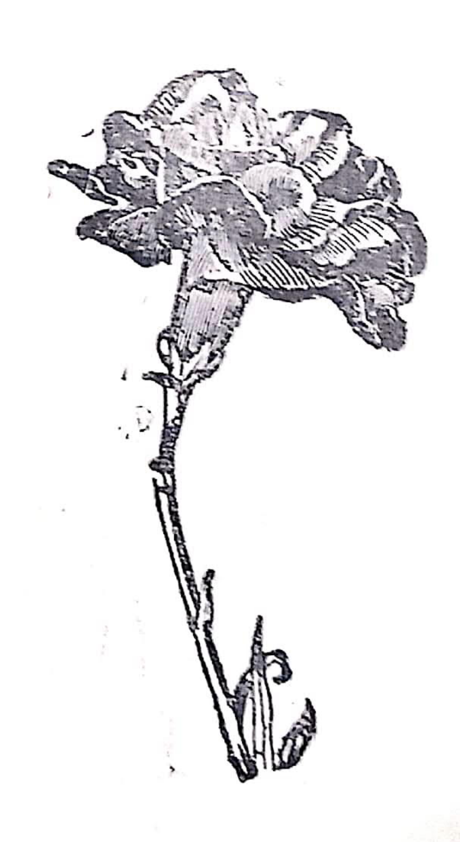
ومن مناجاة موسى عليه السلام أنه قال : يارب انى أجد في الالواح أمة يحشرون يوم القيامة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر فاجعلهم أمتى ، قال الرب: تلك أمة أحمد أحشرهم يوم القيامة غراً محجلين . وقال يارب انى أجد في الالواح أمة يحجون الى البيت الحرام لايقضون منه وطراً يعجون بالبكاء عجيجا ويضجون بالتلبية ضجيجاً فاجعلهم أمتى ، قال الرب : هم أمة أحمد ، قال موسى فما تعطيهم على ذلك قال أزيدهم المغفرة وأشفعهم فيمن وراءهم . قال يارب انى أجد في الالواح أمة قليلة أحلامهم يعلفون البهائم ويستغفرون من الذنوب يرفع أحدهم اللقمة الى فيه فما تستقر في جوفه حتى يغفر له يفتتحها باسمك ويختتمها بحمدك فاجعلهم أمتى ، قال الله تعالى : تلك أمة احمد ﷺ

فيامن تريد أن تكون من هذه الأمة المشرفة فعليك باتباع دينك القويم فأدّ الصلوات فى أوقاتها بشروطها وأركانها وأد الصوم حقاً واترك الغل والحسد والحقد والكبر والغيبة والنميمة وطهر قلبك من هذه الادناس وأحب لاخوانك المسلمين ماتحب لنفسك واكره لهم ماتكره لها واترك الشحناء والبغضاء واسلك طريقاً شرعياً للحصول على معاشك ولا تكن عالة على غيرك تنتظر الاحسان من سواك فان النبي ﷺ والاصحاب قد علمونا كيف نعيش من كسب يدنا ولا نكون عالة على سوانا ، وراقب مولاك في جميع أحوالك وعلم أولادك أمر دينهم ونساءك فانك مسؤل أمام الله يوم القيامة عن نفسك وعن أولادك « فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

فاللهم اجعلنا ممن ركبت على جوارحهم من المراقبة غلائظ القيود وأقمت على سرائرهم من المشاهدة دقائق الشهود فهجم عليهم أنس الرقيب مع القيام والقعود فنكسوا رؤسهم مع الخجل وجباههم للسجود وفرشوا الفرط ذلهم على

بابك نواصي الخدود فأعطيتهم برحمتك غاية المقصود فانك أنت الرب المعبود والصلاة والسلام على أفضل أنبيائك وامام أتقيائك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته وقرابته والتابعين له وملته انك أكرم مسئول وانك المقصود في بلوغ المأمول

وكان الفراغ من هذا التأليف في غرة رمضان المبارك سنة ١٣٤٩ من هجرة سيد المرسلين عليه الصلاة وأتم التسليم



تقاريظ

حضرات أصحـــــاب الفضيلة العلماء

قد اطلع على كتابنا هذا كثير من حضرات أصحاب الفضيلة العلماء منهم المدرسون بقسم التخصص بالازهر الشريف ومنهم المدرسون بالقسم العالي ومنهم الخطباء بالمساجد ومنهم المدرسون بالمدارس الثانوية ومنهم غير المدرسين ومنهم الوعاظ والمرشدون ....

وقد تفضل بالتقريظ عليه كثير منهم ولا يسعنا إلا أن نقدم لهم كثير الشكر على ماتفضلوا به علينا .

وخـير من كتب عليه حضرة شيخنـا مرشد المرشدين ، وواعظ الواعظين العلامة الكبير والفقيه النحرير مثـال الفضل والكمال البحر الزاخر صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ علي محفوظ المدرس بقسم التخصص للأزهر ووكيل جمعية الهداية الاسلامية فانه قال حفظه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله هدى أحبابه الى الصراط المستقيم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد امام الداعين الى المنهج القويم . وعلى آله وصحبه أعلام الهدى ومصابيح الرشد « وبعد » فان منزلة العقائد من الدين منزلة الرأس من الجسد والاساس من البناء فكما لايقوم بنيـان على غير أساس لايصح عمل بلا توحيد فاصلاح العقائد أمر لابد منه . . ولذا كانت الدعوة الى العقائد الحقة من أهم وظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام التي خلفهم فيها السـادة العلماء وأولو الهمم العالية

من قادة الأفكار المصلحين . . وقد اطلعت على جملة مواضع من كتاب « عبقرية الجعافرة » الذي ألفه فضيلة الأستاذ المهذب والعلامة الفاضل « السيد احمد محمد احمد داود » فرأيته من خير ما ألف في فن العقائد . فلقد جمع الى صحة المعنى ، رقة المبنى ، ومتانة الاسلوب ، وعذوبة الألفاظ . ولا عجب ، فالاستاذ رجل الفضل والأدب ، والتقى والاستقامة ، ومثال الفضيلة وعنوان الكمال »

علي محفوظ

المدرس بقسم التخصص للازهر الشريف

وقد تفضل علينا شيخنا الكبير والعلامة النحرير صاحب القلم السيال مثال الكمال صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد شعبان المدرس بالقسم العالى للازهر الشريف فانه كتب قائلا :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين « أما بعد » فقد اطلعت على كتاب « عبقرية الجعافرة » لمؤلفه فضيلة الاستاذ الشيخ « احمد محمد احمد داود » الجعفري النقشبندي المالكي فوجدته حقيقة عبقرية لعبقري واصل موصل وامام همام دائم التقى نفعنا الله به وبعلمه وعمله وارشاداته فطوبى لمن عمل بما فيه وعقد الخناصر وصمم القلب على عقائده وروح النفس باجتناء ثمراته وفوائده فهو لاشك من سكان الجنان المتكئين فيها على رفرف خضر وعبقري حسان اللهم انفعنا به وبمؤلفه وانعم على الأمة بالكثرة من أمثاله الأئمة الهادين المهديين انك يامولانا سميع قريب مجيب الدعوات يارب العالمين وانك نعم المولى ونعم النصير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين »

محمد شعبان المالكي

المدرس بالقسم العالي للأزهر الشريف

وقد كتب الينا حضرة الاستاذ الفضال والقدوة الهمام الخطيب الفصيح والمرشد الصحيح صاحب الفضيلة الشيخ امين عبد الحسيب سالم من خيرة علماء الازهر وخطيب مسجد الملك الظاهر بالقاهرة قائلا :

بسم الله الرحمن الرحيم . سبحانك ربي لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وأصلي وأسلم على سيد رسلك وصفوة خلقك محمد بن عبدالله صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين المخلصين ومن سلك سبيله الى يوم الدين « وبعد » فيسرني أن أجد في هذا العصر الحاضر حركة مباركة في النشر والتأليف قام بها أهل الفضل والنبل للثقافة واستنارة أفكار النشء خدمة للانسانية ومن خير ما ألف كتاب « عبقرية الجعافرة فيما ينجي من العقائد في الآخرة » تأليف صاحب الفضيلة « السيد احمد محمد داود الجعفري الحسيني » تصفحت غالبه فاذا هو سبيل سداد وطريق رشاد مشتمل على عقائد حقة تكفل لمن اعتصم بها السعادة يوم المعاد . واني أسأل ربي ان ينفع به من قرأه باخلاص كما أسأله ان يجزي مؤلفه عن المسلمين خير الجزاء ؟

امين عبد الحسيب سالم

من علماء الازهر الشريف

ومن خيرة اخواننا علما وأدبا وعزة نفس وكرم خلق صاحب الفضيلة الاستاذ الاديب الشيخ علي ابراهيم محمد جمعه من علماء الازهر الشريف فقد كتب الينا قائلا :

أشكر الأخ الجليل « صاحب الفضيلة السيد احمد محمد احمد داود » سعة في قراءة كتابه الموسوم « عبقرية الجعافرة فيما ينجي من العقائد في الآخرة » واني لأحمد اليه حسن ظنه بي ومن عرفان الجميل وعدم جحود

الفضل ان أبين مبلغ أثر هـذا المؤلف من نفسي ومدى حظه من السداد والتوفيق وما كان لى ان اسمو الى هذه الغاية لولا رغبة النفس في اظهار نوع من اللذة والسرور كنت أجدهما وأشعر بهما اثناء مراجعته فلقد كنت أرى فيه بحثاً دقيقاً وتحرياً صائباً مما أكبر فيّ جهد مؤلفه الفاضل وحسن اختياره المبارك . ولقد كان يبلغ بى العجب غايته فكم من فصل استعدت قراءته وكم من عبارة استملحتها . ولقد كان الانس به يزداد كلما ازددنا توغلافيه . ومما حبب هذا الكتاب الىّ سهولة عباراته ووضوحها فقد ذلل الى أفهام العامة تذليلا طيباً ولم يهبط عن مستوى عقول الخاصة . وهو وان كان باكورة جدّ الأخ المفضال الا انه أربى على كثير مما ألف في هذا الفن وذلك مما يبشر بحياة تأليفية مباركة لحضرة الصنو الكريم . وأول الغيث قطر ثم ينهمر . ومن أكبر ما يمتاز به هـذا السفر النافع ان مؤلفه قد اطلع على كثير من كتب الكلام والتوحيد فاقتطف من كل أحسنه وأخذ من كل كتاب أطيبه فأتي كتابه مجرداً ايما تجريد . وهو بذلك سيفسح لنفسه مكانا علياً وسيكون باذن الله منهلا عذبا يرتاده طلاب الحق واليقين وسيكون أيضاً ان شاء الله مصدر ارشار لا ينفد ومنبع عرفان لا يغيض . فليهنأ فضيلة الاستاذ بعمله النافع وليحمد الله على هذا التوفيق الميمون . واشدّ ما يكون سرورنا بالغاً غايته اذا تقبل الناس هذا الصنيع الجميل بما هو أهل له من الرعاية والقبول ولعلّ الله ان يحيي به قلوباً قد أحاطت بها ظلمات الجهل والتلبيس وغشيتها غواش من الضلالة والعناد والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

المخلص

علي ابراهيم القنديلي

من علماء الازهر الشريف

وقد كتب الينا الأخ الصادق صاحب الأدب الجم والمنهل العذب صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عياض سباق محمد رسلان من علماء التخصص للازهر الشريف قائلا .

كتيبك ياصاحب الفضيلة . خير مرآة صافية . متى نفذت اليها أشعة العقول أصابت صوراً صادقة . هي للمسترشدين هدى وللمعاندين قذى وعمى مرت مني على جملته نظرة عجلى فكانت تملة النفس ومراد العقل ومسرح بنات الفكر ذاك : لما داخل القلوب من الريب وخالط النفوس من الشكوك في زمان كاد يكون الداعى فيه الى الله كالراقم على الماء لولا ان الحق حق في كل زمان ومكان . اما انت فكنت في مؤلفك نطس أرواح وملاك إصلاح لا تصف الدواء حتى تشخص الداء كأنك تستحيل الى (مريديك) قطعة من علم أو قبساً من نور أو كأن الله أرسلك رحمة لكل طائفة ومرشدها تريهم ان (الطريق) طريق العلم والدين لا طريق (الاذكار) والجهل الفاضح المبين : ويكأنك . . ياصاحب الفضيلة ، قد خالطت القلوب ببشاشة اسلوبك واسلمت النفوس برقة تعبيرك فما انقادت لك مستصعبات التوحيد وعويصاته الا برزانة حلمك وغزارة علمك فصاح الصعب بين يديك قائلا

ياعجباً لسيرك المذلّل تمشي رويداً وتجي في الأول

دع عنك أيها القارىء ـ ان المؤلف ثنى عطفه عن المحاجة العقلية الاما جاءه قسرا أو الجيء اليه الجاءً وعدُ القول انه اعطاك من كثرة اطلاعه وسعة منقولة صورة مترامية الاطراف متشابهة الأوصاف كانه لمح حاجة القوم اين هي ! ولحظ الساعة الداعية كيف هي ! فصارت كل نفس من ذلكم ان شاء الله أن يؤنها هداها لأن تأتي على هذ المؤلف فتجد فيه غناء المبتدئين ولبانة المنتهين . وذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد . والسلام على من اتبع الهدى ؟

عياض سباق محمد رسلان

من علماء التخصص للازهر

ومن خيرة اخواننا علما وأدبا ومروءة وكرما حضرة الاستاذ المفضال الشيخ عوض محمد عبد الله الجعفرى المدرس بمدرسة عابدين الثانوية ومن حملة دبلوم التجارة المتوسطة قد كتب الينا قائلا ، تلوت كتاب « عبقرية الجعافرة » تأليف صاحب الفضيلة العالم الربانى الحسيب النسيب المتأثل بالسؤدد العادي غير الأقزم « السيد احمد محمد احمد داود » فالفتيه على حداثة طريقته ووضوح محجّته أنجع وسيلة لتناول المتعلمين جنى موضوعه « وما كل حديث يعاب » ولست أعجب لسلاسة عبارته وتوخى مؤلفه في أساليبه مواضيع مناسبة لطلابه وما يشوق قارئيه الى استيعابه . وانما الخليق بأن يتعجب منه ما تجشمه فيه من تقريب المتناول مع صحة المبنى والمعنى متجافيا عن التطويل الممل والاختصار المخل . ولقد انفرد هذا الكتاب بفرائد الفوائد وطرائف التحف بما حوى من كونيات علوية وسفلية وآداب وأخلاق ومواعظ وحكم وما اليه مما يوافق خبره العيان وليس وراء العيان بيان فما أحرى مؤلفه بجميل الثناء وجزيل الدعاء ؟

عوض محمد عبد الله

[الحائز على دبلوم في اللغات الاجنبية والعلوم التجارية]
والمدرس بمدرسة عابدين
الثانوية

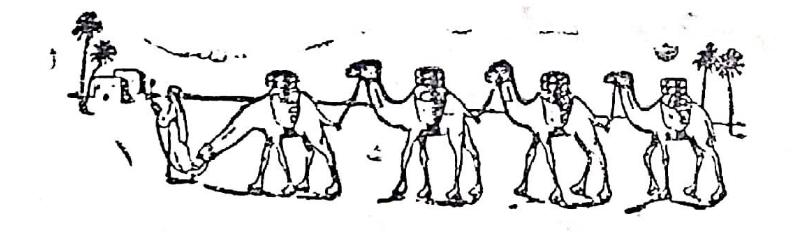
وقد كتب أخونا المفضال التقي الصالح الشيخ احمد على حسين العلوى قائلا

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الواحد في الذات والصفات والافعال الذي أبدع الكون بحكمته على غير مثال والصلاة والسلام على أشرف وأكمل من دعا الى توحيد ذي العظمة والجلال وعلى آله وصحبه الذين بذلوا في نصرة الدين النفيس والغال وبعد فقد تناولت « كتاب عبقرية الجعافرة » لمؤلفه

صاحب الفضيلة « السيد احمد محمد احمد داود » فكحلت مقلتى بالنظر لارقامه وانشرح صدرى لحسن نظامه وبديع أحكامه فانه قد حوى من العلوم الاصل ومن القول الفصل بأسلوب سهل رائق ومشرب عذب فائق ينشده المسترشدون ولا يستغنى عنه الراشدون فشرفنا به على غيرنا « ان حق لقرين الشرف بالقرين » واني لاشكركم على مقصدكم خصوصاً لبنى جنسكم وعموما لتأديتكم أمانتكم نحو أمتكم ، مع الرجاء من المولى لى ولكم والمسلمين بلوغ المرام في اتباع خير الانام والسلام عليكم ورحمة الله ؟

من المخلص احمد على حسين

من طلاب العلم الشريف



دليل الكتاب

صفحة	الموضوع
٥٤	تفسير قوله تعالى «إن الله يأمر» الخ
٥٥	انشقاق القمر
٥٦	نبع الماء وتكثير الطعام
٥٧	الارهاص والكرامة
٥٨	المعونة والاستدراج
٥٩	الخذلان
٥٩	ما يجب في حق الانبياء والرسل
٦٠	الصدق والامانة
٦١	التبليغ والفطانة
٦١	الجائز للرسل من الصفات
٦٣	زيارة القبور
٦٤	منع النساء من زيارة القبور
٦٤	التوسل بالانبياء والاولياء
٦٥	أدلة التوسل
٦٦	السمعيات
٦٦	العرش
٦٧	الكرسي واللوح والقلم
٦٨	الملائكة
٦٩	الحفظة
٧٠	الكتب السماوية
٧٠	الجن

صفحة	الموضوع
٧١	الشياطين واستراق السمع
٧١	الموت
٧٣	الاتعاظ بالموت
٧٥	« بالمقابر
٧٦	القبر وسؤاله
٧٧	عذاب القبر
٧٨	نعيم القبر
٧٩	الشهداء
٨٠	الروح
٨١	الساعة وعلاماتها
٨٧	النفخ في الصور
٨٨	البعث والحشر
٨٩	الموقف
٩٠	الشفاعة
٩٢	إيتاء الصحف
٩٣	الحساب
٩٤	الميزان
٩٥	مضاعفة الاعمال الخيرية
٩٦	الحوض والصراط
٩٧	النار
٩٩	الجنة

نرجو من القارىء الكريم اصلاح الخطأ المطبعي الآتي :

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٨	١٤	فهو	فهو
١٤	٧	هاتين	هاتان
١٤	١٠	موجود	موجد
١٤	٢٢	العقول	المعقول
٢٤	١٣	ظلمات البر والبحر	ظلمات الارض
٤٥	٧	اثنا	اثنى
٤٦	١١	المحتضر	المحتظر
٤٨	٩	ثلاث	ثلاثة
٥٤	٥	أو بعدين	أو بعيدين
٥٧	٥	الذين	الذي
٥٧	٩	قاعداً	قاعد
٨٠	٦	أحياء	حيين